



جامعة المدينة الإسلامية
ISLAMIC UNIVERSITY OF MADINAH

مجلة الجامعة الإسلامية

للعلوم الشرعية

مجلة علمية دورية محكمة

شعبان ١٤٤٣ هـ

السنة: 00

الجزء الأول

العدد: ٢٠٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

معلومات الإيداع

النسخة الورقية:

تم الإيداع في مكتبة الملك فهد الوطنية برقم ١٤٣٩/٨٧٣٦
وتاريخ ١٧/٠٩/١٤٣٩ هـ
الرقم التسلسلي الدولي للدوريات (ردمد) ٧٨٩٨-١٦٥٨

النسخة الإلكترونية:

تم الإيداع في مكتبة الملك فهد الوطنية برقم ١٤٣٩/٨٧٣٨
وتاريخ ١٧/٠٩/١٤٣٩ هـ
الرقم التسلسلي الدولي للدوريات (ردمد) ٧٩٠١-١٦٥٨

الموقع الإلكتروني للمجلة:

<http://journals.iu.edu.sa/ILS/index.html>

ترسل البحوث باسم رئيس تحرير المجلة إلى البريد الإلكتروني:
es.journalils@iu.edu.sa

(الآراء الواردة في البحوث المنشورة تعبر عن وجهة نظر الباحثين
فقط، ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة)

هيئة التحرير

أ.د. عبد العزيز بن جليدان الظفيري

أستاذ العقيدة بالجامعة الإسلامية

(رئيس التحرير)

أ.د. أحمد بن باكر الباكري

أستاذ أصول الفقه بالجامعة الإسلامية

(مدير التحرير)

أ.د. باسم بن حمدي السيد

أستاذ القراءات بالجامعة الإسلامية

أ.د. عبدالعزيز بن صالح العبيد

أستاذ التفسير وعلوم القرآن بالجامعة الإسلامية

أ.د. عواد بن حسين الخلف

أستاذ الحديث بجامعة الشارقة بدولة الإمارات

أ.د. أحمد بن محمد الرفاعي

أستاذ الفقه بالجامعة الإسلامية

أ.د. عمر بن مصلح الحسيني

أستاذ فقه السنة بالجامعة الإسلامية

سكرتير التحرير: باسل بن عايف الخالدي

قسم النشر: عمر بن حسن العبدلي

الهيئة الاستشارية

أ.د. سعد بن تركي الختلان

عضو هيئة كبار العلماء (سابقاً)

سمو الأمير د. سعود بن سلمان بن محمد آل سعود

أستاذ العقيدة المشارك بجامعة الملك سعود

معالي الأستاذ الدكتور يوسف بن محمد بن سعيد

عضو هيئة كبار العلماء

ونائب وزير الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد

أ.د. عياض بن نامي السلمي

رئيس تحرير مجلة البحوث الإسلامية

أ.د. عبد الهادي بن عبد الله حميتو

أستاذ التعليم العالي في المغرب

أ.د. مساعد بن سليمان الطيار

أستاذ التفسير بجامعة الملك سعود

أ.د. غانم قدوري الحمد

الأستاذ بكلية التربية بجامعة تكريت

أ.د. مبارك بن سيف الهاجري

عميد كلية الشريعة بجامعة الكويت (سابقاً)

أ.د. زين العابدين بلا فريج

أستاذ التعليم العالي بجامعة الحسن الثاني

أ.د. فالخ بن محمد الصغير

أستاذ الحديث بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

أ.د. حمد بن عبد المحسن التويجري

أستاذ العقيدة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

قواعد النشر في المجلة(*)

- أن يكون البحث جديداً؛ لم يسبق نشره.
- أن يتسم بالأصالة والجدة والابتكار والإضافة للمعرفة.
- أن لا يكون مستقلاً من بحوثٍ سبق نشرها للباحث.
- أن تراعى فيه قواعد البحث العلميّ الأصيل، ومنهجيتته.
- ألا يتجاوز البحث عن (١٢٠٠٠) ألف كلمة، وكذلك لا يتجاوز (٧٠) صفحة.
- يلتزم الباحث بمراجعة بحثه وسلامته من الأخطاء اللغوية والطباعية.
- في حال نشر البحث ورقياً يمنح الباحث (١٠) مستلات من بحثه.
- في حال اعتماد نشر البحث تقوّل حقوق نشره كافة للمجلة، ولها إعادة نشره ورقياً أو إلكترونياً، ويحقّ لها إدراجه في قواعد البيانات المحليّة والعالميّة - بمقابل أو بدون مقابل - وذلك دون حاجة لإذن الباحث.
- لا يحقّ للباحث إعادة نشر بحثه المقبول للنشر في المجلة - في أي وعاء من أوعية النشر - إلاّ بعد إذن كتابي من رئيس هيئة تحرير المجلة.
- نمط التوثيق المعتمد في المجلة هو نمط (شيكاغو) (Chicago).
- أن يكون البحث في ملف واحد ويكون مشتملاً على:
 - صفحة العنوان مشتملة على بيانات الباحث باللغة العربية والإنجليزية.
 - مستخلص البحث باللغة العربية، و باللغة الإنجليزية.
 - مقدّمة، مع ضرورة تضمينها لبيان الدراسات السابقة والإضافة العلمية في البحث.
 - صلب البحث.
 - خاتمة تتضمّن النتائج والتوصيات.
 - ثبت المصادر والمراجع باللغة العربية.
 - رومنة المصادر العربية بالحروف اللاتينية في قائمة مستقلة.
 - الملاحق اللازمة (إن وجدت).
- يُرسلُ الباحث على بريد المجلة المرفقات التالية:
 - البحث بصيغة **WORD** و **PDF**، نموذج التعهد، سيرة ذاتية مختصرة، خطاب طلب النشر باسم رئيس التحرير.

(*) يرجع في تفصيل هذه القواعد العامة إلى الموقع الإلكتروني للمجلة:

<http://journals.iu.edu.sa/ILS/index.html>

محتويات العدد

الصفحة	البحث	م
٩	قراء وردت عنهم الرواية في حروف القرآن لم يذكرهم ابن الجزري في غاية النهاية د. أحمد بن عبد الله الزهراني	(١)
٤٠	تحرير قول الإمام ابن الجزري في اشتراط التواتر لقبول القراءة وفي تواتر القراءات العشر د. رضوان بن رفعت البكري	(٢)
٩٦	توجيه ما انفردت به طيبة النشر من القراءات العشر - أصولاً وفرشاً د. حبيب الله بن صالح حبيب الله السلمي	(٣)
١٤٨	القراءات الشاذة المنسوبة للإمام أبي عمرو البصري النحوي في كتاب المحتسب لابن جني جمعا ودراسة نحوية د. خضر بن محمد تقي الله بن ماياي	(٤)
١٩٤	القواعد المتعلقة بالشك في الحرف أثناء قراءة القرآن الكريم - دراسة تأصيلية نقدية د. عبد الله بن عبد العزيز الدغثير	(٥)
٢٤٢	الأقوال التفسيرية التي حكم عليها ابن عطية في تفسيره المحرر الوجيز بالشذوذ جمعا ودراسة د. نايف بن يوسف العتيبي	(٦)
٢٨٠	استنشارة النساء والأخذ بمشورتهن في ضوء القرآن الكريم - دراسة موضوعية د. عبد الله بن عبد العزيز العبيد	(٧)
٣١٨	عادات الأنبياء والرسل في القرآن الكريم - دراسة نظرية تحليلية د. حنان بنت لويقي بن علي العمري	(٨)
٣٦٨	مصطلح التفسير المقارن - دراسة نقدية أ.د. إبراهيم بن صالح بن عبد الله الحميضي	(٩)
٤٠٠	الأحاديث الواردة في صلاة رسول الله ﷺ ليلة الإسراء والمعراج في غير بيت المقدس ومروره بمدينة نبي جابلق وجابرس ودعوة أهلها - جمعا ودراسة نشوان محمد مقبل علي	(١٠)
٤٤٤	الإعلال بالمخالفة عند المحدثين أ.د. حافظ بن محمد الحكمي	(١١)
٤٧٦	الرواة الموصوفون بجهالة العين عند الهيئمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد جمعا ودراسة د. تهاني جميل بدري، و د. خديجة عبد الحليم تركستاني	(١٢)
٥٣٦	الصحابية الجلييلة سلمى بنت قيس رضي الله عنها ومروياتها د. منى محمد مبخوت الحمدان	(١٣)
٥٧٤	المفاضلة بين الرواة عند الإمام يحيى بن سعيد القطان دراسة نظرية تطبيقية د. خالد بن عبد الله الطويان	(١٤)
٦٤٢	الحاق السماع طرقه وأقسامه وآثاره د. محمد زايد العتيبي	(١٥)

عادات الأنبياء والرسل في القرآن الكريم

دراسة نظرية تحليلية

Habits of the Prophets and Messengers in the
Noble Qur'an
An Analytical Theory Study

إعداد:

د. حنان بنت لويحي بن علي العمري

Dr. Hanan bint Louifi bin Ali Al-Amri

الأستاذ المساعد بقسم علوم القرآن بكلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية بجامعة جدة
Assistant Professor at the University of Jeddah. College of the Noble Quran
and Islamic Studies Department of Quranic Sciences

البريد الإلكتروني: Hlalamri@uj.edu.sa

المستخلص

لما كان الرسل منبع الهداية، ومعلم الصلاح، وكان الاقتداء بهم طريق للفلاح؛ كثر الحديث عنهم في القرآن، وكتب العلماء عن صفاتهم، وخصائص دعوتهم، وغير ذلك. والذي يتجه إليه من يقرأ في قصص الأنبياء في القرآن يجد أنه كرر القصص عنهم، تنبيهاً على أن طريقة الأنبياء واحدة، ويجد أن حديث القرآن عنهم يتَّجه إلى بيان دعوتهم إلى التوحيد، والتحذير من الإشراك بالله، ثم دعوتهم للإصلاح ودفع الفساد، وما لاقوه من أقوامهم.

وقد عُني هذا البحث بعادات الأنبياء، ومن أهدافه: بيان مصطلح عادات الأنبياء والرسل. وإبراز العادات المشتركة بينهم، وإيراد النماذج التطبيقية على ذلك من كتب التفسير. وتم تقسيمه على أربعة مباحث: المبحث الأول: مفهوم عادات الأنبياء والرسل. المبحث الثاني: عادات الأنبياء والرسل حين مبعثهم. المبحث الثالث: عادات الأنبياء والرسل في دعوتهم لأقوامهم. المبحث الرابع: عادات الأنبياء والرسل في تعاملهم مع الله. ثم الخاتمة، والنتائج، ومن أبرزها: أن هذه العادات - سواءً مع الخالق أو المخلوق - صفات مشتركة بين الأنبياء ومطرده، وهي من أشرف عادات البشر، وأن الصفة والتكرار كلاهما ثابت بالنصّ الشرعي. وأن استنباط العلماء لهذه العادات كان بدلالة آيات القرآن، فقصاص الأنبياء - وأحوالهم مع أممهم - المذكورة في القرآن من أبواب الاستنباط. وأن النظر في هذه العادات، والتأمل فيما أنعم الله به على أنبيائه من حُسن الأخلاق، وجميل الأفعال؛ يؤثّر في النفس ويرقق القلب، وهذا الأمر فيه مدعاة للمؤمن لأن يتخلق بكرم هذه الصفات؛ لكي يصل إلى منازل العلو والفلاح. ومن توصيات هذا البحث: إجراء مزيد من الدراسات والبحوث في الآيات التي تناولت الحديث عن الأنبياء، والاستفادة منها في مجال التعليم والدعوة.

الكلمات الافتتاحية: الأنبياء، العادات، الدعوة، القصص.

Abstract

The Messengers were the source of guidance, and following them was a way to success; there was much talk about them in the Qur'an, and scholars wrote about their characteristics.

The Noble Quran repeated their stories, clarifying that the way of the prophets is one and they called to monotheism, and warn against associating partners with Allah.

This research is concerned with the habits of the prophets, and highlights the common habits among them, and mention the practical examples from the books of interpretation. It is divided into four chapters:

The first chapter: the concept of the habits of the Prophets and Messengers.

The second chapter: the habits of the Prophets and Messengers when they were sent .

The third chapter: the habits of the Prophets and Messengers in calling their people to Allah.

The fourth chapter: the habits of the Prophets and Messengers in regarding their obedience to Allāh.

The conclusion and findings, the most prominent of which are: that these habits are common and persistent. The scholars' derivation of these habits was based on the verses of the Qur'an. That looking at these habits affects the soul and helps the Muslim reach the stage of highness and success. Among the recommendations of this research: conducting more studies and research on verses that dealt with mentioning the Prophets, and benefiting from them in the field of education and Da'wah.

Keywords: Prophets, habits, da'wah, stories.

المقدمة.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد:

فقد أرسل الله رسله مبشرين ومنذرين، وحجة على العالمين، كما قال تعالى: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (١٦٥) [سورة النساء]، وحتى لا يحتج أحد على الله فيقول: ﴿لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نُنزِلَ وَنُخَزِمَ﴾ (١٧٢) [سورة طه].

ومن المعلوم أن إرسال الرُّسل عليهم السلام إنما هو من لطف الله تعالى بخلقه، ورحمته بهم، ليتَّمَّ لهم معاشُهم، ويتبيَّن لهم حالُ معادهم^(١)؛ ولأنه لا سبيل إلى الفلاح في الدنيا والآخرة إلا على أيدي الرسل، ولا سبيل إلى معرفة الطيب والخبيث إلا من جهتهم، ولا يُنال رضى الله إلا على أيديهم، فهم الميزانُ الراجح الذي على أخلاقهم تُوزن الأخلاق، ويمتأبعتهم يتميز أهل الهدى من أهل الضلال، والضرورة إليهم أعظم من ضرورة البدن إلى روحه، والعين إلى نورها، وأي ضرورة وحاجة فُرضت؛ فضرورة العبد وحاجته إلى الرسل فوقها بكثير. وما ظنك بمن إذا غاب عنك هديُّه وما جاء به طرفة عين؛ فسد قلبك، وصار كالحوت إذا فارق الماء، ووضع في المقلاة، فحال العبد عند مفارقة قلبه لما جاء به الرسل، كهذه الحال، بل أعظم؛ ولكن لا يُحسُّ بهذا إلا قلب حيٍّ، وما لُجِّحَ بميتٍ إيلامٌ^(٢). ولما كان الرسل منبع الهداية، ومعلم الصلاح، والافتداء بهم طريق العبد للفوز والفلاح؛ كثر الحديث عنهم في القرآن، وكتب العلماء عن صفاتهم، ودعوتهم، وما أشبه ذلك من سيرهم.

وأثناء قراءتي في كتب التفسير استوقفتني بعض إشارات العلماء إلى عادات الأنبياء والرسل، وكنْتُ أَدَوِّن ما استحسنته من هذه اللفتات الدقيقة. وبعد جمع هذه اللطائف

(١) الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب. "بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز". تحقيق: محمد النجار. (الناشر: لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة)، (١/ ٥٥).

(٢) ينظر: ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر. "زاد المعاد". (ط ٢٧)، مؤسسة الرسالة، بيروت، (١٤١٥هـ)، (١/ ٦٩).

وتقييدها، ألفيتها موضوعاً لطيفاً، يحسن دراسته، واستقصاء أفكاره وتنظيمها؛ لعله يترتب على ذلك نتائج مثمرة.

مشكلة البحث:

- من الأسئلة التي يجيب البحث - بإذن الله -:
- ١- ما المقصود بعادات الرسل؟
 - ٢- ما فائدة النظر والتأمل في هذه العادات؟
 - ٣- هل هذه العادات مطردة من قبل الأنبياء؟
 - ٤- كيف تناول المفسرون الحديث عن عادات الرسل؟

حدود البحث:

اكتفيتُ بالمواضع التي نصَّ فيها المفسرين أنها من عادات الأنبياء والرسل، ورأيت أنه لا داعي للإطالة والتطرق لذكر أمثلة أخرى؛ إذ الأمور التي يشترك فيها الأنبياء والرسل كثيرة، إضافةً على أن طبيعة هذا البحث تلزم الاختصار وفق ما يقتضيه المقام؛ ومن رام التفصيل في ذلك فدونه مطولات التفاسير والكتب.

الدراسات السابقة:

لم اطلع على بحث يتناول موضوع عادات الأنبياء والرسل من خلال القرآن الكريم.

أهداف البحث:

- ١- بيان المقصود بمصطلح عادات الأنبياء والرسل.
- ٢- إبراز العادات المشتركة بين الأنبياء والرسل.
- ٣- إيراد النماذج التطبيقية من كتب التفسير وعلوم القرآن.
- ٤- إظهار الجانب التدبري للآيات عند الحديث عن عادات الأنبياء والرسل.

منهج البحث:

اتبعت في البحث المنهج الاستقرائي التحليلي، وذلك بجمع عادات الرسل التي ذكرها العلماء في تفاسيرهم، وصنفت هذه العادات حسب موضوعها، ورجعت إلى كلام المفسرين عنها باختصار.

خطة البحث:

يتكون هذا البحث من ملخص، ومقدمة، وأربعة مباحث، وخاتمة، وفهارس، وهي على النحو الآتي:

- ملخص البحث.
- المقدمة، وفيها خطة البحث.
- المبحث الأول: مفهوم عادات الأنبياء والرسل. وفيه:
 - أولاً: التعريف اللغوي للفظ العادات.
 - ثانياً: معنى العادات في الاصطلاح.
 - ثالثاً: الألفاظ المرادفة للفظ العادات.
 - رابعاً: المقصود بعادات الأنبياء والرسل.
- المبحث الثاني: عادات الأنبياء والرسل حين مبعثهم. وفيه:
 - أولاً: أنهم يبعثون في أنساب أقوامهم.
 - ثانياً: رؤياهم حقاً.
 - ثالثاً: مجيء جبريل والملائكة إليهم في صورة بشر.
- المبحث الثالث: عادات الأنبياء والرسل في دعوتهم لأقوامهم. وفيه:
 - أولاً: دعوة الرسل كلها في توحيد الله تعالى في ذاته وأسمائه وصفاته وتنزيهه.
 - ثانياً: عدم ابتغاء الأجر مقابل دعوتهم.
 - ثالثاً: بيان أن الله هو النافع الضار.
 - رابعاً: الاستعطاف واللين في الدعوة لله.
 - خامساً: نهيهم عن أعظم المفاسد وأكثرها شيوعاً.
 - سادساً: الشفقة على أقوامهم.
 - سابعاً: عادة أنبياء الله تعالى إذا ملكوا الناس تختلف عن عادة الملوك.
 - ثامناً: لم تجر عادة الأنبياء بالإتيان بآيات الاقتراح.
 - تاسعاً: لكل نبي عدو من المجرمين.
 - عاشراً: نصره الأنبياء على أقوامهم.

- المبحث الرابع: عادات الأنبياء والرسل في تعاملهم مع الله. وفيه:
 - أولاً: دعاؤهم أن يلحقهم الله بالصالحين.
 - ثانياً: حسن اليقين والثقة بالله والاعتماد عليه.
 - ثالثاً: تقديم الدين على الدنيا.
 - رابعاً: المبادرة إلى امتثال أمر الله تعالى.
 - خامساً: الغيرة والغضب لله تعالى.
 - سادساً: استعظام الهفوات.
 - الخاتمة والتوصيات.
- فهرس المصادر والمراجع.
- فهرس الموضوعات.

المبحث الأول: مفهوم عادات الأنبياء والرسل.

• أولاً: التعريف اللغوي للفظ العادات.

جرت عادة العلماء رحمهم الله، يجعل التعاريف اللغوية والاصطلاحية مدخلاً لكل موضوع يريدون بيانه؛ ذلك أن اللغة العربية هي وعاء الدين، والمبينة لما قد يُشكل من دلالات المعاني فيه.

ومعروفٌ أن لفظ: "عادات" في اللغة جمع، ومفرده: "عادة". قال الجوهري: "والعادة معروفة، والجمع عاد وعادات"^(١). وبالرجوع إلى متون اللغة نجد أن لفظ "عاد" أصله من: "العود"، ومعناه كما قال الخليل: "تثنية الأمر عوداً بعد بدء" ^(٢).

والعادة: الدربة في الشيء، وهو أن يتمادى المرء في الأمر حتى يصير له سجيّة. ولذا يُقال للرجل المواظب في الأمر: مُعاود. ومنه يقال للشجاع: بطلٌ معاودٌ، أي لا يمنعه ما رآه شدة الحرب أن يعاودها. والمعاد: كل شيء إليه المصير، ولذلك كانت الآخرة معاداً للناس، والله تعالى هو المبدئ المعيد؛ لأنه سبحانه أبدأ الخلق ثم يُعيدهم" ^(٣).

ومن الباب العيد: واشتقاقه كما ذكر الخليل: من عاد يَعُود؛ لأنه يعود كل عام، وقيل لأنّ الناس قد اعتادوه، ^(٤) ومن هنا سميت العادة عادة؛ لأن صاحبها لا يزال معاوداً لها. ولذا قيل: العادة: تكرر الفعل، والانفعال ^(٥).

(١) الجوهري، إسماعيل بن حماد. "الصحاح". تحقيق: أحمد عطار، (ط ٤)، الناشر: دار العلم، بيروت)، (٢/ ٥١٤).

(٢) الفراهيدي، الخليل بن أحمد. "كتاب العين". تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، (الناشر: دار الهلال)، (٢/ ٢١٨).

(٣) الرازي، أحمد بن فارس. "مقاييس اللغة". تحقيق: عبد السلام هارون، (ط: بدون، دار الفكر)، (٤/ ١٤٨ - ١٥٠).

(٤) الفراهيدي، كتاب العين (٢/ ٢١٨)، ابن سيده، علي بن إسماعيل. "المخصص"، تحقيق: خليل جفال. (ط ١)، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت)، (٣/ ٣٢٦).

(٥) الرازي، أحمد بن فارس. "مجلد اللغة" تحقيق: زهير سلطان، (ط ٢)، دار النشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٦هـ). (ص: ٦٣٥)، الزبيدي، محمد بن عبد الرزاق الحسيني. "تاج العروس من جواهر القاموس". تحقيق: مجموعة من المحققين. (الناشر: دار الهداية)، (٨/ ٤٣٤)، السيوطي،

• ثانيًا: معنى العادات في الاصطلاح.

من أهم التعريفات التي ذكرها العلماء لمصطلح العادة: أن العادة هي: ما استمر الناس عليه على حكم المعقول، وعادوا إليه مرة بعد أخرى^(١).

وقيل هي: كل ما اعتيد، وصار يُفعل من غير جهد.

والعادات كذلك هي: الحالة التي تتكرر على نَحج واحد، كعادة الحيض في المرأة^(٢). أما عند الفقهاء فقال القرافي: العادة غلبة معنى من المعاني على الناس، وقد تكون هذه الغلبة في سائر الأقاليم، كالحاجة للغذاء، والتنفس في الهواء، وقد تكون خاصة ببعض البلاد كالنقود والعيوب، وقد تكون خاصة ببعض الفرق، كالأذان للإسلام، والناقوس للنصارى^(٣).

وعرفها الحنفية: بأنها ما استمر الناس عليه على حكم المعقول، وعادوا إليه مرة بعد أخرى. وعند الشافعية: ما هو مألوفٌ من الأفعال، وما أشبهها^(٤). ونستخلص مما سبق أن العادة مأخوذة من المعاودة، ولمعاودتها وتكرارها مرة بعد أخرى صارت شائعة ومعروفة، ومستقرة في العقول؛ لألفة النفوس لها.

• ثالثًا: الألفاظ المرادفة للفظ العادات.

عند الكلام عن مصطلح العادة نجد بعض المصطلحات المرادفة تتردد عند كثير من

عبد الرحمن بن أبي بكر. "معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم". تحقيق: أ.د. محمد عبادة،

(ط ١، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٤٢٤هـ)، (ص: ١٩٨).

(١) الجرجاني، علي بن الشريف. "كتاب التعريفات". تحقيق: جماعة من العلماء، (ط ١، دار الكتب

العلمية، بيروت)، (ص: ١٤٦)، الأنصاري، زكريا بن محمد. "الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة".

تحقيق: د. مازن المبارك، (ط ١، دار الفكر المعاصر، بيروت)، (ص: ٧٢).

(٢) أبو حبيب، سعدي. "القاموس الفقهي لغة واصطلاحًا". (ط ٢، دار الفكر، دمشق)، (ص: ٢٦٥).

(٣) القرافي، أحمد بن إدريس، "الذخيرة". تحقيق: مجموعة من العلماء، (ط ١، دار الغرب الإسلامي،

بيروت)، (١ / ١١).

(٤) أبو حبيب، القاموس الفقهي (ص: ٢٦٥).

العلماء، ورغم ترادف هذه الألفاظ؛ إلا أنهم فرقوا بينها اصطلاحًا، فالترادف المقصود هنا هو الترادف النسبي الذي يمكن فيه أن تستعمل لفظة مكان أخرى في سياقات معينة؛ لأن الترادف الكامل يقل بين ألفاظ اللغة، فكل لفظة لها معان خاصة بها، وإن اشتركت معها ألفاظ أخرى في بعض المعاني.

ومن الألفاظ المرادفة لمصطلح العادة:

١- مصطلح العرف، وهو ما استقر في النفوس من جهة شهادات العُقول، وتلقته الطباع السليمة بالقبول. والفرق بين العادة والعرف: أن العرف: يستعمل في الألفاظ. والعادة تستعمل في الأفعال^(١).

٢- لفظ: الدَّاب، وأصله في اللغة يعود على الملازمة والدوام^(٢). قال ابن الأثير: "الدَّابُّ: العادة والشَّان، وأصله من دَابَّ في العمل إذا جدَّ وتعب، إلا أن العرب حوّلت معناه إلى العادة والشَّان"^(٣).

والفرق بين العادة والدَّاب: أن العادة على ضربين اختيار أو اضطرار، فالاختيار: كتعود شرب النبيذ وما يجري مجراه، مما يكثر الانسان فعله فيعتاده، ويصعب عليه مفارقتها، والاضطرار مثل: أكل الطعام وشرب الماء لإقامة الجسد وبقاء الروح وما شاكل ذلك، والدَّاب لا يكون إلا اختيارًا^(٤).

٣- لفظ السُّنة، وهي في اللغة: الطَّريقة، ولو كانت غير مرضية، وفي الشرع: اسم للطريقة المرضية المسلوكة في الدين، من غير افتراض ولا وجوب^(٥).

(١) الكفوي، أيوب بن موسى. "الكليات، معجم في المصطلحات والفرق اللغوية". تحقيق: عدنان درويش، (الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت)، (ص: ٦١٧).

(٢) الرازي، مقياس اللغة (٢/ ٣٢١).

(٣) ابن الأثير، مجد الدين. "النهاية في غريب الحديث والأثر". تحقيق: طاهر الزاوي، ومحمود الطناحي، (الناشر: المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ)، (٢/ ٩٥).

(٤) ينظر: العسكري، الحسن بن عبد الله "معجم الفرق اللغوية"، (ط١، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٢هـ)، (ص: ٣٤٥ - ٣٤٦).

(٥) الكفوي، أيوب بن موسى. "الكليات، معجم في المصطلحات والفرق اللغوية". تحقيق: عدنان

والفرق بين العادة والسنة: أن العادة ما يديم الانسان فعله من قبل نفسه، أما السنة فتكون على مثال سابق^(١).

• رابعاً: المقصود بعادات الأنبياء والرسل.

لم أجد - فيما اطلعت عليه - من عرف عادات الأنبياء كمصطلح إضافي؛ لكن بناءً على الدلالة اللغوية، والتعريفات الاصطلاحية المذكورة سابقاً، يمكن القول أن المقصود بعادات الأنبياء: هو ما تكرر على نَحْجٍ واحدٍ من الصفات والأحوال المترتبة بالأنبياء والرسل.

المبحث الثاني: عادات الأنبياء والرسل حين مبعثهم.

من رحمة الله ﷺ أنه لم يخلق عباده عبثاً، ولم يتركهم سُدىً؛ ولذلك أرسل إليهم أنبياءه، يُبينون لهم طريق الهدى من الضلال، ويُبلِّغونهم أوامره ونواهيه.

ولا شك بأن بعثة الرسل فضلٌ منه ﷺ، ولطفاً بخلقه، فهي نعمة مهداة من الله ﷻ إلى عباده، وفضلٌ إلهي يتفضل بها في حق المرسل نفسه؛ لأنها اصطفاء من الرب له من بين سائر الناس؛ لأن النبوة لا تنال بعلم ولا رياضة، ولا تدرك بكثرة طاعة أو عبادة، ولا تأت بتجويد النفس أو إظمائها كما يظن من في عقله بلادة؛ وإنما هي محض فضلٌ إلهي، واصطفاءٌ رباني؛ كما أخبر جلّ وعلا عن نفسه: ﴿وَاللَّهُ يَخْتِصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [سورة البقرة].

فالنبوة إذاً لا تأت باختيار النبي، ولا تنال بطلبه، ولذلك لما قال المشركون: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقُرَيْتَيْنِ عَظِيمٍ﴾^(٣١)، أجاجهم الرب تبارك وتعالى: ﴿أَهْمُرُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ [سورة الزخرف، آية ٣٢]، فالله تعالى هو الذي يتفضل ويختار من يشاء من خلقه، فما كانت الخيرة لأحدٍ غيره، وما كان الاجتباء لأحدٍ سواه،^(٢) كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ

درويش، (الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت)، (ص: ٤٩٧).

(١) ينظر: العسكري، معجم الفروق اللغوية (ص: ٣٤٥ - ٣٤٦).

(٢) ينظر: ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. (النبوات) تحقيق: عبد العزيز الطويان، (ط ١)، الناشر: أضواء السلف، الرياض)، (١ / ٦)، (١ / ١٩).

يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ ﴿٧٥﴾ [سورة الحج، آية ٧٥].

وفيما يلي أبرز عادات الرسل حين مبعثهم:

• أولاً: أنهم يبعثون في أنساب أقوامهم.

قضى الله بحكمته أن أنبياءه كانوا من خير أقوامهم نسباً؛ لما علمه سبحانه أن من طبيعة البشر الاعتداد بالأنساب والمفاخرة بها، ولأنه حين يبعث النبي وله مكانة وحسباً في قومه؛ سيكون هذا ادعى بالألا يجحدوا نبوته؛ وألاً يزدروه ويحتقروه.

ولذلك لما ختم الله رسالاته بأفضل البشر محمد ﷺ، كان ﷺ من أوسط قومه نسباً، وأشرفهم حسباً، كما قال ﷺ: ((إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَى مِنْ بَنِي هَاشِمٍ)).^(١) ولم يرو أن أحداً من أعدائه من مشركي العرب طعن عليه في نسبه، ولم يختلفوا في أنه أوسطهم نسباً^(٢).

وهذه كانت عادة الأنبياء قبله؛ حيث كانوا يبعثون من خير أقوامهم نسباً، وأفضلهم موضعاً؛ كما نصَّ ابن عباس في قصة أبي سفيان وهرقل، وفيه: ((فقال هرقل لِلتَّرْجَمَانِ: قُلْ لَهُ سَأَلْتُكَ عَنْ نَسَبِهِ، فَذَكَرْتَ أَنَّهُ فِيكُمْ ذُو نَسَبٍ؛ فَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْعَثُ فِي نَسَبِ قَوْمِهَا))^(٣). وقد ذكر المفسرون -على جهة التمثيل- بعض الأنبياء الذين بُعثوا من أوسط قومهم نسباً؛ ومنهم:

١- نبي الله هود، قال ابن إسحاق: "بعث الله هوداً، وهو من أوسط قومه نسباً، وأفضلهم موضعاً، فأمرهم أن يوحدوا الله"^(٤).

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٧/٥٨)، (ح/٦٠٧٧).

(٢) الهروي، أبو عبيد القاسم بن سلام. "غريب الحديث". تحقيق: د. محمد خان، (ط١)، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد)، (١/١١).

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (١/٦)، (ح/٧).

(٤) الطبري، محمد بن جرير. "جامع البيان عن تأويل آي القرآن" تحقيق: د. عبد الله التركي، (ط١)، دار عالم الكتب، الرياض)، (١٠/٢٦٩)، الرازي، عبد الرحمن ابن أبي حاتم. "تفسير القرآن العظيم". تحقيق: أسعد الطيب، (ط٣)، مكتبة نزار الباز، ١٤١٩هـ)، (٥/١٥٠٨).

٢- نبي الله صالح، بعثه الله إلى قبيلة ثمود، وكان من أفضلهم موضعاً^(١) ومن أوسطهم نسباً، كما هي عادة الأنبياء^(٢).

٣- نبي الله شعيب^(٣)، بعثه الله إلى مدين، وكان من أشرفهم نسباً^(٤).

وبالنظر إلى هؤلاء الأنبياء نجد أنهم يجتمعون في كونهم بعثوا من خير أقوامهم نسباً، ولا يقتصر هذا الأمر عليهم؛ بل هكذا بعث الله تعالى جميع أنبيائه؛ ومن هنا عدّ المفسرون من عادات الأنبياء: أنهم يبعثون في أنساب أقوامهم.

• ثانياً: أن رؤياهم حق.

الرؤيا الصادقة أحد خصال النبوة، وأول منازل الوحي؛ وهي بمنزلة الوحي إليهم في اليقظة؛ لأنه لا سبيل للشيطان عليهم في التخيل أو في الاختلاط^(٥).

وأنبياء الله يوحى إليهم في منامهم ويقظاتهم، قال محمد بن كعب: "كانت الرسل يأتيهم الوحي من الله أيقاظاً ووقوداً؛ وذلك أن الأنبياء لا تنام قلوبها"^(٦)، وقال الطحاوي: "رؤياهم صلوات الله عليهم كانت مما يوحيه الله إليهم، فيوحي إليهم في مناماتهم ما شاء أن يوحى إليهم فيها، ويوحي إليهم في يقظاتهم ما شاء أن يوحيه إليهم فيها، وكل ذلك وحي منه

(١) ابن أبي حاتم، "تفسير القرآن العظيم"، (٨ / ٢٦٩٥).

(٢) الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد. "العذب النمير"، تحقيق: د. خالد السبت، (ط٢)، الناشر: دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، (٣ / ٥١٠).

(٣) الطبري، "جامع البيان" (١٠ / ٣١٠).

(٤) ابن كثير، إسماعيل بن عمر. "تفسير القرآن العظيم". المحقق: سامي بن محمد، (ط٢)، الناشر: دار طيبة، (٤ / ٣٤٢هـ).

(٥) ينظر: المالكي، أبو بكر، محمد بن عبد الله بن العربي. "أحكام القرآن". تحقيق: محمد عطا. (ط٣)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، (٤ / ٣٠هـ)، أبو شامة، شهاب الدين عبد الرحمن. "شرح الحديث المقتفى في مبعث النبي المصطفى". تحقيق: جمال عزون، (ط١)، الناشر: مكتبة العمرين العلمية، الشارقة، (ص: ٦٦).

(٦) الواحددي، أبو الحسن علي بن أحمد. "البيسط". (ط١)، الناشر: عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، (١٩ / ٨٢).

إليهم" (١). والمقصود من ذلك تقوية الدلالة على كونهم صادقين؛ لأن الحال إما حال يقظة، وإما حال منام، فإذا تظاهرت الحالتان على الصدق، كان ذلك هو النهاية في بيان كونهم محقين، صادقين في كل الأحوال (٢).

وتعدُّ رؤيا الأنبياء صلوات الله عليهم من جملة شرائع الدين، قال ابن عبد البر: "ولا خلاف بين العلماء أن رؤيا الأنبياء وحي؛ بدليل قوله عز وجل: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعَىٰ قَالَ يَبْنَؤُا إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ آيَاتٍ أُذْهِبُكَ فَأَنْظُرُ مَاذَا تَرَىٰ﴾ قَالَ يَا بَتِ أَعْلَمُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِن الصَّابِرِينَ ﴿١١٢﴾ [سورة الصافات]، يعني ما أمرك الله به في منامك. وهذا واضح والحمد لله كثيراً" (٣).

وكانت الرؤيا الصادقة في المنام مبدأ الوحي إلى النبي ﷺ كما في حديث عائشة، رضي الله عنها: " أول ما بدئ به رسول الله ﷺ الرؤيا الصادقة في النوم؛ فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح" (٤). وهذا من حكمة الله تعالى، وتدرج لنبية ﷺ لما أراد الله به، لئلا يفجأه الملك ويأتيه بالنبوة بغتة، فلا تحتملها بشريته، فبدأ أمره بأول خصال النبوة، من صدق الرؤيا، حتى استشعر واستعد لما ينتظره، فلم يأتيه الملك إلا وقد تقدم عنده مقدمات النبوة وبشاراتها (٥).

وليست الرؤيا للأنبياء خاصة بالفترة الأولى من الوحي، بل وقعت معهم بعد ذلك؛ كما بشر تعالى نبيه ﷺ، فقال ﷻ: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ

(١) الطحاوي، أبو جعفر أحمد بن محمد "شرح مشكل الآثار". تحقيق: شعيب الأرنؤوط، (ط ١)، الناشر: مؤسسة الرسالة، (١٤ / ٤٦٥).

(٢) الرازي، فخر الدين محمد بن عمر. "مفاتيح الغيب"، (ط ٣)، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ، (٢٦ / ١٣٦).

(٣) القرطبي، أبو عمر، يوسف بن عبد البر. "الاستذكار". تحقيق: سالم عطا، محمد معوض. (ط ١)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ، (٩ / ٤١٥).

(٤) صحيح البخاري (٦ / ٢١٤)، (ح/٤٩٥٣)، وصحيح مسلم (١ / ٩٧)، (ح/٤٢٢).

(٥) ينظر: أبو شامة، "شرح الحديث المقتفى"، (ص: ٦٦).

الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِينَ ﴿سورة الفتح: ٥٠﴾.

وكما وقع في وحيه تعالى لإبراهيم عليه السلام: ﴿يَبْنِيْٓ اِيۡتِيۡ اَرۡىۡ فِىۡ الْمَنَامِ اِيۡتِيۡ اَذۡبَحُكَ﴾ [سورة الصافات، آية ١٠٢]، فالذي حمل إبراهيم عليه السلام للمبادرة في الامتثال، وإسماعيل عليه السلام حين قال لأبيه: ﴿يَتَابَتِ اَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ﴾ [سورة الصافات] عادة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وعلمهم بأن رؤياهم تقع بعينها، ولذلك تيقن صدقها عندهم. يقول القصاب: "وقوله تعالى: ﴿كَالۡ يَبۡنِيۡٓ اِيۡتِيۡ اَرۡىۡ فِىۡ الْمَنَامِ اِيۡتِيۡ اَذۡبَحُكَ فَاَنظُرُ مَاذَا تَرَىۡ ۗ قَالَ يَتَابَتِ اَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَجَدۡتِيۡ اِنْ شَاءَ اللّٰهُ مِنَ الصّٰبِرِيۡنَ ﴿١١٦﴾﴾ [سورة الصافات] دليل على أن رؤيا الأنبياء حق، يعلمون به كما يعلمون بالرسالة، ويثبت به الحجة على الناس ثبوتها بالرسالة"^(١)، كما وقع ليوسف عليه السلام وهو طفل صغير تلك الرؤيا العجيبة، فقال لأبيه: ﴿يَتَابَتِ اِيۡتِيۡ رَاۡتُ اَحَدَ عَشَرَ كُوۡكَبًا وَّالشَّمۡسَ وَّالْقَمَرَ رَاۡتُهُمْ لِيۡ سَاجِدِيۡنَ ﴿٤﴾﴾ [سورة يوسف] ثم أصبحت بعد سنوات حقيقة واقعة؛ لأن رؤيا الأنبياء حق ثابت.

وكما أن رؤيا إبراهيم عليه السلام في ذبحه لولده إسماعيل عليه السلام صارت سبباً لوجوب ذلك الذبح عليه في اليقظة والواقع؛ كذلك صارت الرؤيا ليوسف عليه السلام سبباً لوجوب ذلك السجود: سجود التَّحِيَّةِ^(٢)، ولذا لما أخبر أباه، قال يعقوب عليه السلام له: ﴿يَبْنِيۡ لَا تَقۡصُصْ رُءۡيَاكَ عَلٰٓى اِخۡوَتِكَ فَيَكۡبُدُوۡا لَكَ كِبۡدًا﴾ [سورة يوسف، آية ٥٠] فأشفق يعقوب عليه السلام على يوسف عليه السلام حسد إخوته بهذه الرؤيا؛ لأن يوسف عليه السلام كان نبياً في علم الله مذ كان، ورؤيا الأنبياء وحي، لا يبطل منها شيء.

• ثالثاً: مجيء جبريل والملائكة إليهم في صورة بشر.

جرت عادة الأنبياء أن الملائكة كانت تأتي لهم في صورة بشر؛ فأتوا إبراهيم ولوطاً في صورة آدميين، وجاء الملكان إلى داود عليه السلام في صورة رجلين، وجاء جبريل عليه السلام إلى يوسف عليه السلام في صورة رجل، كما ورد عن مجاهد قال: حدثت أن جبريل عليه السلام أتى يوسف عليه السلام

(١) القصاب، أحمد محمد. "النكت الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام". تحقيق: مجموعة من العلماء. (١ط، الناشر: دار القيم)، (٣/ ٧٣٢).

(٢) الزحيلي، وهبة بن مصطفى. "التفسير الوسيط". (١ط، الناشر: دار الفكر، دمشق)، (٢/ ١١٣٧).

وهو بمصر في صورة رجل، فلما رآه يوسف عليه السلام عرفه ^(١).

وثبت حلول جبريل عليه السلام في غار حراء في بدء الوحي، وظهوره للنبي صلى الله عليه وآله وسلم على كرسي بين السماء والأرض، بصورته التي رآه فيها في غار حراء، كما ذلك في حديث نزول سورة المدثر ^(٢).

وأتى جبريل عليه السلام كذلك للنبي صلى الله عليه وآله وسلم في صورة دحية الكلبي، ^(٣) كما ثبت في صحيح البخاري عن أبي عثمان، قال: أنبئت أن جبريل عليه السلام أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعنده أم سلمة، فجعل يتحدث، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأم سلمة: من هذا؟، أو كما قال، قالت: هذا دحية. فلما قام، قالت: والله ما حسبته إلا إياه، حتى سمعت خطبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم يخبر خبر جبريل عليه السلام ^(٤).

وثبت تشكل جبريل عليه السلام للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ولعمر بن الخطاب رضي الله عنه، في حديث السؤال عن الإيمان والإسلام والإحسان والساعة، ^(٥) ورأى كثير من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم بدر ناساً لا يعرفونهم على خيل يقاتلون معهم ^(٦). ويدل على هذا الأمر ما أخبر به تعالى في قوله: ﴿إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَىٰ الْمَلَائِكَةِ أَتَىٰ مَعَكُمْ فَتَبَيَّنُوا الَّذِي ءَامَنُوا سَأَلْتَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَصْرَبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَصْرَبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [سورة الأنعام].

(١) الطبري، "جامع البيان"، (١٣ / ٣٠٩).

(٢) ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، (٢٢ / ٢٥٠).

(٣) القرطبي، "الجامع لأحكام القرآن"، (٦ / ٣٩٤).

(٤) صحيح البخاري (٦ / ٢٢٣)، (ح/٤٩٨٠).

(٥) كما في الحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه (١ / ٢٨)، (ح/١٠٢) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: "بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه،...، قال ثم انطلق فلبث ملياً ثم قال لي صلى الله عليه وآله وسلم: «يا عمر أتدرى من السائل». قلت الله ورسوله أعلم. قال: «فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم».

(٦) ينظر: ابن عاشور، محمد بن الطاهر. "التحرير والتنوير"، (الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م)، (٢٢ / ٢٥٠).

المبحث الثالث: عادات الأنبياء والرسل في دعوتهم لأقوامهم.

الذي يتجه إليه من يقرأ في قصص الأنبياء في القرآن يجد أنه كُرر ما كُرر في أوائل هذه القصص، تنبيهاً على أن طريقة الأنبياء واحدة لا اختلاف فيها، ويجد كذلك أن حديث القرآن عنهم يتَّجه إلى بيان دعوتهم إلى التوحيد، ومنع الإشراف بالله، ثم إلى دعوتهم للإصلاح ودفع الفساد، وكذلك ما لاقوه من أقوامهم، وما احتجوا به من الأدلة والبراهين، وأنواع المعجزات المختلفة التي أمدهم بها الله ﷻ، وما آل إليه أمر هؤلاء الأقوام من الاعتراض والاستكبار، وبيان ذلك في المطالب الآتية:

• أولاً: دعوة الأنبياء والرسل كلها في توحيد الله ﷻ في ذاته وأسمائه وصفاته

وتنزيهه.

جعل الله ﷻ دعوة الأنبياء وطريقتهم في الدعوة إليه واحدة، ولذلك كان التوحيد أول ما يدعون إليه؛ لأنه أول منازل الطريق، وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله ﷻ.

ولا توحيد أكمل من الذي قامت به الرسل ودعوا إليه، وجاهدوا الأمم عليه، ولهذا أمر الله ﷻ نبيه أن يقتدي بهم؛ كما قال سبحانه: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [سورة الأنعام، آية ٩٠]، ولما قام الرسل بحقيقة التوحيد علماً وعملاً ودعوةً وجهاداً؛ جعلهم الله أئمة للخلائق، يهدون بأمره، ويدعون إليه، وجعل الخلائق تبعاً لهم^(١).

ولما كانت عادة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام البدء بالأهم فالأهم؛ نجد أن دعوتهم توجهت إلى تحقيق توحيد الله وعبادته قبل كل شيء، فهذا صالح ﷺ يقول لقومه: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [سورة هود، آية ٧٣]، ويقول شعيب ﷺ مخاطباً قومه: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [سورة هود، آية ٨٥]، فأمرهم بالتوحيد - على ما جرت به عادة الرسل - ثم بعد دعوته إلى التوحيد شرع في النهي عما كان أهل مدين معتادين فيه من البخس في الكيل والوزن؛ فدعاهم إلى ترك هذه العادة القبيحة، وهي

(١) ينظر: ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر. "تفسير القرآن الكريم". تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية، (ط١)، الناشر: دار الهلال، بيروت، ١٤١٠هـ)، (٣١٨/١).

تطيف الكيل والوزن؛ فقال: ﴿وَيَقَوْمٌ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [سورة هود] (١).

فجميع الرسل دعوا إلى توحيد الله وعبادته، ورفض ما سواه، وهم مشتركون مع رسول الله ﷺ في ذلك، فكل ما جاء به ﷺ هو عين ما جاءت به الرسل قبله، وتلك عادة الأنبياء (٢).

قال ابن عطية: "وجاءت الألفاظ في دعاء كل واحد من هؤلاء الأنبياء واحدة بعينها؛ إذ كان الإيمان المدعو إليه معنى واحداً بعينه" (٣). ولذا قال ﷺ: ﴿مُعِماً لِمُعِمْمِمْ﴾ [سورة الأنبياء]. وقال في تخصيص بعض الرسل بأسمائهم: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [سورة الأعراف، آية ٥٩] وقال: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [سورة هود، آية ٥٠].

فإذا حقت أن دعوة الرسل واحدة؛ عرفت أن من كذب واحداً منهم فقد كذب جميعهم؛ ولذا صرح تعالى بأن من كفر ببعضهم فهو كافر حقاً، فقال ﷺ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ [سورة النساء] (٤).

ولذلك لما حكى ﷺ عن قوم ثمود قال: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ﴾ [سورة الشعراء]،

(١) ينظر: الخازن، علي بن محمد. "الباب التأويل في معاني التنزيل". تصحيح: محمد شاهين. (ط١)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت)، (٢ / ٤٩٨)، (القاسمي، محمد جمال الدين. "محاسن التأويل". تحقيق: محمد باسل، (ط١)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ)، (٥ / ١٤٧).

(٢) ابن حيان، "البحر المحيط في التفسير"، (٨ / ١٨٨).

(٣) ابن عطية، "المحرر الوجيز"، (٤ / ٢٨٩).

(٤) الشنقيطي، محمد الأمين المختار الجكني. "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن". (الناشر: دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ)، (٢ / ٢٨٩).

وإنما قال إنهم كذبوا المرسلين مع أنهم كذبوا صالحًا وحده؛ لأن دعوة جميع الرسل واحدة، وهي تحقيق معنى «لا إله إلا الله».

فزيادة دعوة الرسل - كلهم - ومدارها على قوله: ﴿أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ [سورة النحل] أي: على معرفة الله تعالى، وتوحده في صفات العظمة، التي هي صفات الألوهية، وعبادته وحده لا شريك له، فهي التي أنزل الله بها كتبه، وأرسل رسله، وجعل الشرائع كلها تدعو إليها، وتحث وتجاهد من حاربها وقام بضدها^(١).

• ثانيًا: عدم ابتغاء الأجر مقابل دعوتهم.

لم يكن الرسل يسألون مالا أو عوضًا في مقابل ما جاءوا به من الوحي والهدى، وهذا كان شأن الرسل كلهم عليهم صلوات الله وسلامه. كما قال تعالى مُحْبِرًا عَنْهُمْ: ﴿أَتَسِعُوا مِنْ لَا يَسْتَلْكُمُ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [سورة يس]، وقال في سورة الشعراء: ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة الشعراء] في قصة نوح وهود وصالح ولوط وشعيب عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام.

وما من رسول إلا واجه قومه بهذا القول؛ لأن الأنبياء شأنهم النصيحة، والنصيحة لا يمحضها ولا يمحضها إلا حسم المطامع، وما دام يتوهم شيء منها لم تنجع ولم تنفع^(٢).

وقد بين ﷺ في آيات كثيرة أن ذلك هو شأن الرسل عليهم صلوات الله وسلامه، كقوله تعالى عن نبينا ﷺ: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [سورة سبأ] وكل هذه الآيات - وغيرها - تدل على أنه ﷺ والأنبياء عمومًا لا يسألون أمهم أجرًا على تبليغ ما جاءوا به من الهدى والبيان.

• ثالثًا: بيان أن الله هو النافع الضار.

(١) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر. "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان". المحقق: عبد الرحمن اللويحي، (ط١: الناشر: مؤسسة الرسالة)، (ص: ٤٣٥).

(٢) الزمخشري، محمود بن عمرو جار الله. "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل". (ط٣، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت)، (٢/ ٤٠٢).

إن الله ﷻ هو النافع الضار^(١)، الذي ينفع من يشاء من خلقه ويضره، والذي خلق الأشياء كلها خيرها وشرها، ولا شك بأنه لولا الرسل لم يتعرف الخلق إلى ربهم، ولم يهتد العقل إلى تفاصيل النافع والضار في المعاش والمعاد

ومن عادة الرسل الكرام صلوات الله عليهم دلالة الخلق على أن النافع والضار هو خالق السماوات والأرض، وهذا ما أمر الله ﷻ نبيه أن يقوله معلناً لجميع الناس - وهو أفضل خلق الله وأكرمهم على الله - أنه ﷻ لا يملك لنفسه نفعا يجلبه إليها، ولا ضرا يدفعه عنها، قال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة الأعراف]. فالرسل - صلوات الله وسلامه عليهم - وأتباعهم أولى الناس بتوجيه جميع رغباتهم ورهباتهم إلى من بيده النفع والضر؛ لينفعهم، ويدفع عنهم الضر^(٢).

وقد حكى ﷻ في كتابه عن مقالة قوم هود السبئيين لنبيهم، في قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا هُوْدُ مَا جِئْنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِ هَارُونَ عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة هود] إن نقول إلا

(١) هذان الاسمان - الضار النافع - من الأسماء المزدوجة التي يجب أن تجري مجرى الاسم الواحد ولا يفصل بينها، فهي من الأسماء المقترنة، التي لا يفرد أحدهما عن قرينه؛ لأن الجمع بينهما أدل على القدرة، وتام الحكمة - وكذلك كل اسمين يؤديان بمجموعهما عن معنى واحد -، والله تعالى ذكره يضر وينفع، ويعطي ويمنع؛ ولذا دلالة مجموعهما أن الخير والشر بيده، وأنه مسبب كل خير، ودافع كل شر، وأن الخلق تحت لطفه، يرجون كرمه. قال ابن تيمية: «لأن هذين الاسمين إذا ذكرا معاً دل ذلك على عموم قدرته وتدييره، وأنه لا رب غيره، وأمره فيه مدح له، وتنبه على أن ما فعله من ضررٍ خاص، ومنعٍ خاصٍ فيه حكمة، ورحمة بالعموم، وإذا ذكر أحدهما لم يكن فيه هذا المدح، والله سبحانه له الأسماء الحسنی» ينظر: الزجاج، أبو إسحاق، إبراهيم بن السري بن سهل. "تفسير أسماء الله الحسنی". تحقيق: أحمد يوسف الدقاق. (الناشر: دار الثقافة العربية)، (ص: ٦٣)، ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم. "بيان تلبیس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية". تحقيق: مجموعة من المحققين. (ط١)، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٢٦هـ، (٣/ ٣٠٠).

(٢) ينظر: الشنقيطي، "العذب النمير"، (٤/ ٣٨٤).

أَعْتَرَدَكَ بَعْضُ الْهَيْتَانَا سِوَى اللَّهِ ﴿١٦﴾ [سورة هود] وهذا قول ركيكٌ منهم؛ لأنهم كانوا يعترفون بأن النافع والضار هو الله تعالى، وأن الأصنام لا تنفع ولا تضر، ومتى كان الأمر كذلك فقد ظهر في بديهية العقل أنه لا تجوز عبادتها^(١).

ولذلك نجد أن الكفار يقرون بأن الله هو ربه، وأنه هو الخالق والرازق والنافع والضار، ويتحققون كل التحقق أن الأوثان لا تقدر على جلب نفع، ولا على دفع ضرر، كما أخبر تعالى عن قيل قوم إبراهيم - عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام - ﴿لَقَدْ عَلِمْتَمَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ﴾ ﴿١٦﴾ [سورة الأنبياء]، وكثيراً ما جاءت الآيات القرآنية تصف أحوال أهل الشرك بأنهم وقت الشدائد يخلصون الدعاء لله وحده، لعلمهم أن غيره لا ينفع ولا يضر، كقوله تعالى عنهم: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ ﴿١٦﴾ [سورة العنكبوت]، وقوله: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهًا فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾ ﴿١٧﴾ [سورة الإسراء]، إلى غير ذلك من الآيات التي تبين أن الكفار يعلمون أن الذي بيده النفع والضرر هو الله، وأن الأوثان لا تنفعهم بشيء؛ ولكنهم غالطوا أنفسهم لشدة تعصبهم لأوثانهم، وزعموا أنها تقرهم إلى الله زلفى، وأنها شفعاؤهم عند الله،^(٢) وهذا الفعل يقع منهم لفرط جهالتهم؛ لأن العقل يقطع بنفي ذلك.

وقريب من فعل هؤلاء الكفار ما كان عليه المنافقين، الذين كانوا إذا أصابتهم حسنة نسبوها إلى الله تعالى، وأنها ليست بسبب اتباع الرسول، ولا الإيمان به، وإن تصبهم سيئة أضافوها إلى الرسول ﷺ، وقالوا: هي بسببه، قال ﷺ عنهم: ﴿وَإِنْ نُصِبْتُمْ حَسَنَةً يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ نُصِبْتُمْ سَيِّئَةً يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ نُصِبْتُمْ سَيِّئَةً يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِنْدِكَ﴾ [سورة النساء] فشابهوا بذلك قوم موسى عليه السلام الذين أخبر الله عنهم، فقال ﷺ: ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَٰذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ﴾ [سورة الأعراف، آية ١٣١] وشابهوا كذلك قوم صالح عليه السلام

(١) ينظر: الرازي، "مفاتيح الغيب"، (١٨ / ١١).

(٢) ينظر: الشنقيطي، "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن"، (٣ / ٦٩).

الذين أخبر الله تعالى عن قبيلهم لنبيهم صالح عليه السلام: ﴿أَطِئْنَا بِكَ وَيَمَنُ مَعَكَ﴾ [سورة النمل].

• رابعاً: الاستعطف واللين في الدعوة لله تعالى.

إن التلطف في القول والرفق واللين وحسن الخطاب، والمحورة بالمقالة المحكمة الصحيحة، والدليل الموضح للحق والمزيح للشبهة؛ سمة من سمات دعوة الأنبياء. وكل من يُعَمِّن النظر في سيرهم يرى بديع رفق الأنبياء، وحسن خطابهم، ومن أحسن ما جاء في بيان ذلك شهادة أقوامهم لهم، وهذه الشهادة تُعد من أقوى الأدلة على صدق الرسل في عِظَم التذكير، ولطافة الأسلوب، والاجتهاد في تبليغ الدعوة، وإيصال الهدى إلى أقوامهم.

ومن ذلك ما حكاه الله تعالى على لسان بلقيس لما جاءها كتاب سليمان عليه السلام: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾ [سورة النمل] قال القرطبي: "وصفته بالكتاب الكريم، لما تضمن من لين القول والموعظة في الدعاء إلى عبادة الله تعالى، وحسن الاستعطف والاستلطاف من غير أن يتضمن سباً ولا لعناً، ولا ما يغير النفس، ومن غير كلام نازل ولا مستغلق، على عادة الرسل في الدعاء إلى الله تعالى، ألا ترى إلى قول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [سورة النحل، آية ١٢٥]، وقوله لموسى وهرون: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [سورة طه] وكلها وجوه حسان وهذا أحسنها"^(١).

ومما قصَّ الله علينا من قصص أنبيائه، خطاب نوح لقومه: ﴿يَقَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [سورة الأعراف]، وكيف أنهم ردُّوا عليه ذلك الردَّ القبيح الشنيع، وقالوا له: ﴿إِنَّا لَنَرِيكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [سورة الأعراف]، فلم يجاريهم عليه السلام في ردهم، بل قابل سفاهتهم وجهلهم وقبح ردهم بالكلام اللين اللطيف، والجواب الكريم، الخالي من بذاعة اللسان، كما هي عادة الرسل في مخاطبتهم مع الكفرة

(١) ينظر: القرطبي، محمد بن أحمد. "الجامع لأحكام القرآن". تحقيق: أحمد البردوني، (ط ٢): الناشر: دار

الكتب المصرية، القاهرة)، (١٣ / ١٩٢).

الجهلة، قائلاً لهم: ﴿يَقْوَرُ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿١١﴾ [سورة الأعراف]. مع أنه لما قالوا له: ﴿إِنَّا لَنَرِيكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿٦٠﴾ كان الصلوات يعلم أنهم هم الضالون، وأنه هو المهتدي، والذي يعيبك ويلمرك بعيب أنت تعلم أنه فيه هو، وتعرف بأنك بريء منه؛ فهذا مما يستدعي الغضب، والرد العنيف؛ لكن نبي الله نوح الصلوات لم يغضب، ولم يرد عليهم رداً عنيفاً، بل ردّ بأكرم عبارة، وأطف ردّ، ولم يقل: أنتم هم الكفرة الفجرة الضالّال، ولم يقدح فيهم بلسانه؛ بل ردّ عليهم بالعبارة اللطيفة اللينة، وهذا تعليم من الله لخلقهم أن الداعي المتبع لآثار الرسل إذا قابله الجهلة ببذاءة اللسان وعابوهُ وتكلموا له بالقيح؛ ألا يقابلهم إلا بالقول اللين اللطيف، والحكمة والموعظة الحسنة، كما هي عادة الرسل في خطاباتهم لأمتهم (١).

ومما يستدل به على أن الدعوة إلى الله يجب أن تكون بالرفق، واللين، لا بالقسوة، والشدة، والعنف؛ ما أمر الله جل وعلا نبيه موسى وهارون -عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام- أن يقولوا لفرعون في حال تبليغ رسالة الله إليه: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئَلَّا يَعْتَبِرَهُ يَتَذَكَّرَ أَوْ يَخْشَى﴾ [سورة طه] أي: كلاماً لطيفاً سهلاً رقيقاً، ليس فيه ما يغضب وينفر. وقد بين جل وعلا المراد بالقول اللين في هذه الآية بقوله: ﴿أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَرَكَّنْ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَخَشَى ﴿١٩﴾ [سورة النازعات] وهذا والله غاية لين الكلام ولطافته ورقته كما ترى (٢).

وبمثل هذا لما جادل قوم شعيب الصلوات نبيهم، وقالوا له على سبيل التعنت والسخرية: ﴿يَسْخَرُونَ مِمَّا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرِيكَ فِي ضَعِيفٍ طُوًى وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ ﴿١١﴾ [سورة هود] أي: ما نفهم مرادك، - وهو الذي كان يقال له خطيب الأنبياء- وما قالوا له هذا إلا بعد ما سمعوا منه دلائل الحق المبين على أحسن وجه وأبلغه،

(١) الشنقيطي، "العذب النمير"، (٣/ ٤٧٣).

(٢) ينظر: الشنقيطي، "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن"، (٤/ ١٥)، والسعدي، "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان"، (ص: ٥٠٦).

فلما ضاقت عليهم الحيل، وأعيت بهم العلل؛ لم يجدوا إلى محاورته سبيلاً سوى الصدود عن منهاج الحق، والسلوك إلى سبيل الشقاء، كما هو ديدن المفحم المحجوج الذي يُقابل البيئات بالسب والإبراق والإرعاد؛ فجعلوا كلامه المشتتل على فنون الحكم والمواعظ، وأنواع العلوم والمعارف من قبيل ما لا يُفهم معناه، ولا يُدرك فحواه، وأدجوا في ضمن ذلك أن في تضاعيفه ما يستوجب أقصى ما يكون من المؤاخذة والعقاب.^(١) فما كان منه إلا أن قال لهم راضياً بقضاء الله فيهم، متصبراً على موقفهم من دعوته: ﴿يَقَوْمِ أَرَهَطِيَ أَحَازُ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرًا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [سورة هود] وهكذا كان الرُّسل يصرون على الأذى في الدعوة إلى الله، ويتحملون في تنفيذ أوامر الله من الخلق غاية المشقة وهم صابرون، بل راضون بذلك؛ فإنَّ المحبَّ ربُّماً يتلذذ بما يُصيبه من الأذى في رضى محبوبه^(٢).

وهذه عاداتهم جميعاً - صلوات الله وسلامه عليهم - في عظم التذكير، وشدة النصح، ولطافة الأسلوب، والاجتهاد في هدى قومهم؛ ولكن الهدى بيد الله، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ، فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا﴾ [سورة المائدة، آية ٤١] ^(٣).

• خامساً: نهيهم عن أعظم المفاسد وأكثرها شيوعاً

أمر الله تعالى في كتابه الكريم بالصلاح والإصلاح، وأثنى على المصلحين، وأخبر كذلك أنه لا يُصلح عمل المفسدين؛ ولذلك كل أمر فيه صلاح للعباد في دينهم ودنياهم، وكل أمر يعينهم على ذلك فهو داخل في أمر الله وترغيبه، وكل فسادٍ وضررٍ وشرٍ فإنه داخل كذلك في نهيهِ والتحذير عنه، فيجب على العبد تحصيل كل ما يعود إلى الصلاح والإصلاح، بحسب استطاعته، كما قال شعيب عليه السلام: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا

(١) أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى. "تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم". (الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت)، (٤/ ٢٣٥).

(٢) ينظر: البغدادي، عبد الرحمن بن رجب. "روائع التفسير". جمع وترتيب: طارق بن محمد، (ط ١)، الناشر: دار العاصمة، الرياض)، (١/ ٢٧٧).

(٣) ينظر: الشنقيطي، "العذب النمير"، (٣/ ٤٩٠).

تَوَفِّيهِ إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ [سورة هود]، وكان من عادة أنبياء الله إذا رأوا أقوامهم مقبلين على معصية معينة أكثر من إقبالهم على غيرها من المعاصي؛ بدأوا بمنعهم ونهيتهم عن تلك المعصية (١).

وقد قصَّ الله جل وعلا في كتابه أخبار المرسلين مع أممهم، وبين كيف أن شؤم المبادرة في تكذيب الرسل سببٌ للطبع على القلوب، والإبعاد عن الهدى، واستمرار المعاصي، وفُشوها بينهم، وبين ﷺ كيف نجى المؤمنين وأهلك الكافرين، وجعل ذلك عبرةً لأولي الألباب، وعظةً لأهل العقول، ومن هذه الأخبار قصة قوم لوط الذين أرسل الله لهم نبيه لوط ﷺ، وكانوا مع شركهم، قد جمعوا بين فعل الفاحشة، وتقطيع السبيل، وفشو المنكرات في مجالسهم، فنصحهم لوط ﷺ عن هذه الأمور، وبَيَّن لهم قبائحها في نفسها، وما تقول إليه من العقوبة البليغة، فلم يراعوا ولم ينتفعوا بنصحه.

ومن ذلك أيضًا قوم شعيب ﷺ الذين وصفوا بالشغف بالبخس والتطيف، ولهذا بدأ نبيهم ﷺ بنهيهم عن هذه المعاصي، قائلاً لهم: ﴿فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ [سورة الأعراف، آية ٨٥] وما أكثر الآيات التي تناولت الحديث عن دعوة الأنبياء إلى التوحيد، والإصلاح الاجتماعي، ومنع الفساد في الأرض.

• سادساً: الشفقة على أقوامهم.

أخرج مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمرو بن العاص: «أن النبي ﷺ تلا قول الله ﷻ في إبراهيم ﷺ: ﴿رَبِّ إِنِّمَنْ أَضَلَلَنْ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة إبراهيم] وقول عيسى ﷺ: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [سورة المائدة] فرفع يديه وقال: «اللهم أمتي أمتي» وبكى، فقال الله ﷻ: يا جبريل اذهب إلى محمد- وربك أعلم- فسله ما يبكيك؟ فأتاه جبريل ﷺ

(١) ينظر: الرازي، "مفاتيح الغيب"، (١٤ / ١٤١)، الألوسي، "روح المعاني"، (٤ / ٤١٤)، السعدي، عبد الرحمن بن ناصر. "القواعد الحسان لتفسير القرآن". (ط ١، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض)، (ص: ٣٤).

فسأله، فأخبره رسول الله ﷺ بما قال - وهو أعلم - فقال الله ﷻ: يا جبريل اذهب إلى محمد، فقل إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك^(١)، وهذا من شفقتة ﷺ على قومه؛ ولهذا كان من أشد ما يؤذيه: امتناع قومه عن الإيمان؛ لأنه صلوات الله وسلامه عليه محبوب على الرحمة والشفقة، ولهذا وصفه الله بالرفقة والرحمة بالمؤمنين في قوله: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (١٢٨) [سورة التوبة]، وأخبره بأنه يعلم ما يحزنه، فقال له ﷻ: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيَّاتٍ اللَّهُ يَجْحَدُونَ﴾ (٣٣) [سورة الأنعام] أي: نحن نعلم أنه يُورثك الحزن والضيق لما يلقونك به من التكذيب، ونسبتهم إياك إلى السحر والشعر والكهانة والجنون.

وبيّن تعالى في الآية أن من أسوأ ما يسوؤه، وأحزن ما يحزنه، ويضيق به صدره ﷻ إعراض قومه وتوليهم عن الحق؛ لما جُبل عليه من الشفقة والرحمة؛ ولذا نهأه الله مراراً عن شدة أسفه وحزنه عليهم، ووجهه بعدم إهلاك نفسه بالأسف والحزن؛ لأجل إعراضهم، فقال له سبحانه: ﴿فَلَا تَذَهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ (٨) [سورة فاطر]. والرحمة والرفقة والشفقة دأب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ألا ترى إلى دعاء إبراهيم ﷻ: ﴿رَبِّ إِنِّي أَمْلَأُ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ مَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (٣٦) [سورة إبراهيم]. ولذلك وصفه تعالى بقوله: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾ (٧٥) [سورة هود]. أي: كان حلماً، لا يدعو على قومه.

ولما قضى الله تعالى نزول العذاب بقوم لوط عليه السلام؛ جاءه الأمر الإلهي: ﴿إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ (٢٤) [سورة العنكبوت] فأعلم الله نبيه لوط عليه السلام بأن الأمر قد فرغ منه قطعاً؛ وصرح فيه الأمر بوقوع العذاب عليهم، وعين نوعه، وعلل لسبب وقوعه؛ حتى لا يشفع فيهم، جرياً على عادة الأنبياء في الشفقة على أممهم.

(١) صحيح مسلم (ح/٥٢٠)، (١/١٣٢).

• سابعاً: عادة أنبياء الله ورسله إذا ملكوا الناس تختلف عن عادة الملوك.

مما اعتاده الناس من ملوكهم - في الغالب - التكبر بالاتباع، والتعاضم والجبروت بكثرة الأنصار، ولذلك لما ظن ملاً فرعون أن عادة الأنبياء كعادة غيرهم من الملوك قالوا لموسى عليه السلام: ﴿أَجِئْتَنَا لِتُفَنِّنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة يونس]؛ إلا أن عادة أنبياء الله تعالى إذا ملكوا الناس تختلف عن عادة الملوك.

وقد قصَّ الحق جل جلاله حكاية نبيه سليمان عليه السلام مع بلقيس، واستنبط العلماء منها جملة من الأمور التي تميز بها مُلك سليمان عليه السلام عن غيره من الملوك، ومنها:

- حين جاء الهدهد وعلم أن سليمان عليه السلام قد تهدده، قال له: ﴿أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَحِجَّتُكَ مِنْ سَبِيلِ بَنِي يَاقِينَ﴾ [سورة النمل]؛ ثم لما عرف سليمان عذره، ترك عقوبته وما توعدّه به؛ وكذلك سبيل الوالي العادل الذي يمنعه عدله من الحيف على رعيته، ويقبل عذر من وجده مذنباً؛ إذا صدق في اعتذاره.

- عند إخبار الهدهد لسليمان عليه السلام عن مال بلقيس ومُلكها العظيم؛ لم يغتر سليمان عليه السلام بذلك الملك، ولم يستفزّه الطمع لما سمع عن هذا، كما يحدث من عادة الملوك من الطمع في مُلك غيرهم؛ ولكن لما قال الهدهد: ﴿وَجَدْتُهُمَا وَقَوْمَهُمَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَرَبِّ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ [سورة النمل] اغتاض سليمان عليه السلام عند ذلك، وغضب في الله^(١).

- لما كان سليمان عليه السلام ملكاً مُطاعاً خاطب رعيته بقوله: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ عَلِمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأَوْتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّا هَذَا لَهَوُ الْفَضْلِ الْمَيِينِ﴾ [سورة النمل] وهذا على عادة الملوك عند إرادة الطاعة والانقياد من الرعية في الأوامر والنواهي؛ إلا أن ذلك لم يكن تعاضماً وتكبراً منه عليه السلام، كعهده الملوك؛ بل مراعاة لقواعد السياسة، والتي يريد أن يتوصل بها إلى ما فيه رضا

(١) القشيري، عبد الكريم بن هوازن. "لطائف الإشارات". تحقيق: إبراهيم البسيوني، (ط ٣)، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، (مصر)، (٣ / ٣٤).

الله ﷻ من الأمور المهمة، ويعد من هذا: أمر نبينا ﷺ العباس بحبس أبي سفيان حتى تمر عليه الكتاب يوم الفتح^(١).

- ما كتبه سليمان ﷺ: ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ (٣٠) **أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَىٰ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ** ﴿٣١﴾ [سورة النمل] كان في غاية الإيجاز والبلاغة؛ وكذلك كتب الأنبياء جملةً، لا يطيلون ولا يكثرون الكلام فيها.

- قصدت بلقيس في قولها لقومها: ﴿وَإِنِّي مُرْسَلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ (سورة النمل) مُصانعة سليمان ﷺ عن مُلكها، واختباره هل هو ملك أم نبي؛ لأنها عرفت عادة الملوك، وحسن موقع الهدايا عندهم، فإن كان ملكاً قبلها وانصرف، وإن كان نبياً ردها ولم يقبل منها إلا أن تتبعه على دينه^(٢).

• ثامناً: لم تجر عادة الأنبياء والرسل بالإتيان بآيات الاقتراح.

قد أجرى الله العادة بأن الأمم إذا بُعث فيهم رُسلٌ منهم يجحدون رسالته بحجة أن الله لو كان مُرسلاً رسولاً لما جعله بشراً يأكلُ الطعام، ويشربُ كما نشربُ، ويذهب إلى السوق ليقتني حاجته، ويتزوج، ويولدُ له! ولو كان مُرسلاً رسولاً لأرسل الملائكة؛ لأنَّ لهم هبةً ليست عندَ آدميين، وعلاماتٍ تميزهم عن الآدميين^(٣).

ومن سنة الله تعالى أن يلقي الرسل من أممهم كافة أنواع التعنت والتكذيب والسخرية، ومن أشد تعنتات أهل الكتاب وغيرهم من المشركين مع أنبيائهم؛ طلب تحقيق بعض الآيات الخوارق، التي جعلوها حكماً بينهم وبين الرسل عليهم الصلاة والسلام في صدق دعواتهم. ولم يكن قصدهم من هذا الاسترشاد وتبين الحق، بل لم يكونوا بحاجة لذلك؛ لأن الرسل قد جاءوا بالآيات البينات التي يؤمن بمثلها البشر؛ فلا عذر للكفار في إقدامهم على طلب الآيات الزائدة، والاقتراحات الفاسدة الواردة منهم على سبيل الجهل والتعنت، والتجراً

(١) الألوسي، "روح المعاني"، (١٠ / ١٦٨).

(٢) النسفي، عبد الله حافظ الدين. "مدارك التنزيل وحقائق التأويل". تحقيق: يوسف بديوي، (ط ١)، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، (٣ / ١٧١).

(٣) الشنقيطي، "العذب النمير"، (٣ / ٤٥٦).

على الله، والاستكبار على رسله؛ كسؤال اليهود للنبي ﷺ أن ينزل عليهم كتاباً من السماء، كما قال تعالى مخبراً عنهم: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِنَانِ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ﴾ [سورة النساء، الآية ١٥٣]، وكمثل قول المشركين: ﴿وَقَالُوا مَا لِيَ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُنْفِثَ إِلَيْهِ كَفْرًا أَوْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾﴾ [سورة الفرقان]، وقد حكى الله عنهم قولهم للنبي ﷺ: ﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَثَ أَحْلَمٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوْلُونَ ﴿٥﴾﴾ [سورة الأنبياء] أي: كما جاء موسى ﷺ بالعصا وصالح بالناقذة، كما تعنتوا عليه أن يجعل لهم الصفا ذهباً، وأن يزيل عنهم الأخشبين، ويجعل مكانها مروجاً وأنهاراً، ويجعل لهم البطاح محارث ومغترساً كالأردن، وأن يحيي لهم قصباً وأسلافهم؛ ولم يكن ذلك لهم؛ لأن آيات الاقتراح لم تجر عادة الأنبياء بالإتيان بها إلا إذا أراد الله تعذيب قوم طلبوا هذه الآيات؛ ولذلك لما اقترح مشركي العرب، وقالوا تعنتاً: ﴿لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ﴿٦﴾﴾، خاطبهم تعالى بقوله: ﴿وَلَوْ أُنزِلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾﴾ [سورة الأنعام]، فبين الحكمة في عدم إجابة اقتراحهم في إنزال الملك، وهي أن الله ﷻ أجرى العادة بأن القوم إذا اقترحوا آية وأنزلها الله لهم، ثم كفروا بعد ذلك؛ فإن الله يهلكهم هلاك الاستئصال؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوْلُونَ وَعَآئِنَا لَثَمُودٌ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا ﴿٤﴾ وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾﴾ [سورة الإسراء]. فيكون كفرهم بعد نزول هذه الآية التي اقترحوها سبب هلاك مستأصل، وتدمير عام يهلكهم الله به، ويجعلهم أثراً بعد عين.

وأخبر الله تعالى عنهم أنهم من شدة صلفهم ومكابرتهم للمحسوسات لا يفيدهم رؤية الآيات عياناً، فقال تعالى: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾﴾ [سورة الحجر]، وقال تعالى مخبراً عنهم: ﴿وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرَهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [سورة الطور]، وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا كَفَرُوا بِمَا كَلَّمَتْ رَبُّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ

كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿١٧﴾ [سورة يونس].

ولذلك أمر بالرد عليهم، فقال: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنْ مَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾ [سورة الرعد]: أي: سواء بعث الرسول بآية على وفق ما اقترحوا، أو لم يجبههم إلى سؤالهم؛ فإن الهداية والإضلال ليس منوطاً بذلك ولا عدمه، كما قال تعالى: ﴿وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ [سورة يونس] (١).

• تاسعاً: لكل نبي عدو من المجرمين.

جعل الله تعالى لكل نبي من الأنبياء الداعين إلى الله عدواً يعاديه من مجرمي قومه، فقال: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ [سورة الفرقان]، وسماهم شياطين الإنس والجن في قوله ﷻ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غَرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٣﴾ [سورة الأنعام] أي: كما جعلنا الكفار أعداء لك يكذبونك ويخالفونك ويعادونك؛ جعلنا كذلك لكل نبي ممن قبلك أيضاً أعداء؛ فاصبر كما صبروا، ولا تحزن على مكذبي قومك، ولا تذهب نفسك عليهم حسرات؛ فإن هذا دأب الأنبياء قبلك، وهي سنة من سنن الأمم مع أنبيائهم. وهذا من تسليية من الله سبحانه لرسوله ﷺ، ومواساة ووعداً له بالنصرة عليهم؛ كما قال تعالى: ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾ [سورة آل عمران].

• عاشراً: نصرته الأنبياء والرسل على أقوامهم.

مما قضى الله جل ثناؤه وخطه في أم الكتاب نصرته لرسوله، وصيانتته لدعوته، ووعد بأن النصر له وكتابته ورسوله وعباده المؤمنين في الدنيا والآخرة، وأن العاقبة للمتقين. وهذا الذي كتبه ﷺ في كتابه الأول، وقدّره بحكمته؛ لا يخالف ولا يمانع ولا يبدل، كما قال تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ [سورة المجادلة]،

(١) ينظر: ابن كثير، "تفسير القرآن العظيم"، (٤/ ٤٥٤).

وقال ﷺ: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ﴾ (٥١) يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذَرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٥٢﴾ [سورة غافر].

وقرر ﷺ هذا في أكثر من آية بالقرآن الكريم، وأخبر أنه كتب هذا في الزبور، كما قال ﷺ: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرَانِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ (١٠٥) إِنَّ فِي هَذَا بَلَاغًا لِقَوْمٍ عَكِيدِينَ ﴿١٠٦﴾ [سورة الأنبياء]، وما وعد به رسله لا يمكن تبديله، كما نصَّ على ذلك بقوله ﷺ: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كَذَّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّىٰ أَنهَمُ نَصْرًا وَلَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيِّ الْأُمْسَلِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [سورة الأنعام]، ولا يمكن خلفه، كما قال ﷺ: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخَلَّفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ (٤٧) [سورة إبراهيم]، والله تعالى لم يخلف وعده لأحد من الناس، فكيف يخلف وعده لرسله وخيرة خلقه؟!.

ولا شك بأن هناك من الأنبياء من قتله أعداؤه، ومثلوا به، كيحجي بن زكريا عليه السلام، ومنهم من هم قومه بقتله، فكان أحسن أحواله أن يخلص منهم حتى فارقهم ناجياً بنفسه، كإبراهيم عليه السلام الذي هاجر إلى الشام من أرضه مفارقاً لقومه، وعيسى عليه السلام الذي رفعه الله إلى السماء لما أراد قومه قتله، وقد يقول قائل: فأين النصرة التي أخبرنا الله أنه ينصرها رسله والمؤمنين به في الحياة الدنيا، وهؤلاء أنبياءه قد نالهم من قومهم ما قد علمت، وما نصرها على من نالهم بما نالهم به؟

والجواب على هذا: أن نصرة الرسل واقعة ولا بد؛ إما في حياة الرسول المنصور كنوح وموسى عليهما السلام، وإما فيما يأتي من الزمان بعد موته، مثل ما صنع الله ببني إسرائيل بعد قتلهم يحيى عليه السلام، حيث سلط عليهم بختنصر، حتى انتصر ليحجي، ولا شك بأن نصر المؤمنين داخل في نصر الرسل عليهم السلام. (١)

(١) ينظر: الطبري، "جامع البيان"، (٢٠ / ٣٤٤ - ٣٤٥)، ابن عطية، "المحرر الوجيز"، (٤ / ٦٣٠).

المبحث الرابع: عادات الأنبياء والرسل في تعاملهم مع الله.

شأن الأنبياء في تعاملهم مع الله شأنٌ عجيب، ومن تأمل ذلك يجد حياتهم كلها قائمة على الأدب مع الله سواءً في خطابهم معه، أو في دعائهم وسؤالهم، وفي أحوالهم الدنيوية كلها نجد لها تفيض أدباً وحياءً مع الله ﷻ، وما ذلك إلا إرشاداً وهدياً للمؤمنين بما ينفعهم، ورحمةً بهم، ودلالةً لهم إلى حسن الأدب في حق الله ورسله. ومن عادات الأنبياء والرسل في تعاملهم مع الله ﷻ:

• أولاً: دعائهم أن يلحقهم الله بالصالحين.

الأنبياء عليهم السلام أعظم الناس صلاحاً في أخلاقهم وأعمالهم وعلومهم، وكثيراً ما أثنى عليهم الله تعالى في كتابه ووصفهم بالصلاح يشمل صلاح القلب، وذلك بمعرفة الله ومحبته، والإنابة إليه، وصلاح اللسان، بأن يكون ربطاً من ذكر الله، وصلاح الجوارح، باشتغالها بطاعة الله وكفها عن المعاصي، فبصبرهم وصلاحهم، أدخلهم الله برحمته، وجعلهم مع إخوانهم من المرسلين، وأثابهم الثواب العاجل والآجل، ولو لم يكن من ثوابهم، إلا أن الله تعالى نوه بذكرهم في العالمين، وجعل لهم لسان صدق في الآخرين، لكفى بذلك شرفاً وفضلاً،^(١) كما قال ﷻ عنهم: ﴿وَأَسْمِعِ لِدَرِيْسٍ وَذَا الْكِفْلِ كُلُّ مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾^(٨٥) وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِّنَ الصَّالِحِينَ^(٨٦) [سورة الأنبياء]، وقال: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾^(٨٤) وَرَكَرَبًا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ^(٨٥) [سورة الأنعام]، واثني على صلاح بعضهم، فقال عن لوط عليه السلام: ﴿وَلَوْ طَآءَ أُنثَىٰ حُكْمًا وَعِلْمًا وَبَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغُرُبَاتِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْغَبِيْثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَسَقِينَ﴾^(٧٤) وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِّنَ الصَّالِحِينَ^(٧٥) [سورة الأنبياء]، وبشر بصلاح بعضهم من حين ولادته، فوصف عيسى عليه السلام بقوله: ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ

(١) السعدي، "تيسير الكريم الرحمن"، (ص: ٥٢٩).

وَكَهَلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٤٦﴾ [سورة آل عمران]، وبشر زكريا بيحيي عليهما السلام، فقال:

﴿أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [سورة آل عمران]، وهي بشارة أخرى أعلى من البشارة بولادته، كما وصفهما الله تعالى بالصلاح مع من وصف بذلك من الأنبياء- في سورة الأنعام- في قوله: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِيلَاسَ كُلُّ مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ [٨٥]. والصلاح درجة عالية، وسبب لاكتساب الخيرات، ورفعة الدرجات، ودخول العبد لرحمة الله؛ ولذا كان من أكثر دعاء الأنبياء لربهم أن يجعلهم من الصالحين، كدعاء نبي الله إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [٨٣]. [سورة الشعراء]، وأثنى عليه الله في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [١٢٢]. [سورة النحل]. وتوجه سليمان عليه السلام لربه: ﴿وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [١٩]. [سورة النمل]. "فدعا ربه أن يلحقه بال صالحين، قال ابن زيد: هم الأنبياء والمؤمنون، وكذا عادة الأنبياء أن يطلبوا جعلهم من الصالحين^(١)، كما قال يوسف عليه السلام: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [١٠١]. [سورة يوسف]. وهذا إبراهيم عليه السلام لما هاجر استشعر قلة أهله وعقم امرأته، فدعا الله أن يهب له غلامًا صالحًا، ينفع الله به في حياته، وبعد مماته، فقال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [١٠٠]. [سورة الصافات]، فاستجاب الله له، ووهبه إسماعيل وإسحاق عليهما السلام، قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۗ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾ [٧٤]. [سورة الأنبياء] قال عبد الرحمن بن زيد: سأل واحدًا فقال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [١٠٠]. [سورة الصافات]، فأعطاه الله إسحاق، وزاده يعقوب نافلة^(٢)؛ لأن نعمة الولد تكون أكمل إذا كان صالحًا، ولا شك بأن صلاح الأبناء فُرّة عين للآباء، ومن صلاحهم برّهم بوالديهم^(٣).

(١) ابن حيان، "البحر المحيط"، (٨ / ٢٢٢).

(٢) ابن كثير، "تفسير القرآن العظيم"، (٥ / ٣٥٤).

(٣) ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، (٢٣ / ١٤٨).

• ثانيًا: حسن اليقين والثقة بالله والاعتماد عليه.

الأنبياء أكمل الخلق عبودية لله، وأحسنهم توكلاً عليه، وطلباً للنصرة والتأييد منه؛ وما ذاك إلا لأجل إقامة دينه، ودفع المفسدين في الأرض.

وسمو مقام الأنبياء في منزلة العبودية والفقر إلى ربهم، وحاجتهم إليه، وعدم استغنائهم عنه طرفة عين ظاهرة فيما أخبر الله عنهم في كتابه؛ ولهذا كانوا أقرب الخلق إليه منزلةً، وأرفعهم عنده مكانةً، ولذلك امتن الله تعالى على نبيه، وعدد نعمه عليه في قوله: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَصُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾ [سورة النساء]، وروي أن رسول الله ﷺ لما نزل عليه قوله: ﴿وَلَوْلَا أَنْ تَبْنِيَنَّكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْتَكِنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾﴾ [سورة الإسراء]، قال: اللهم لا تكليني إلى نفسي طرفة عين^(١)، والمقصود من ذلك سؤال العبد لربه أن يتولاه برحمته وألا يكله إلى نفسه.

وانظر إلى قول نوح عليه السلام لقومه: ﴿يَقَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [سورة هود]، لا تجعلوا أمركم الذي تعتمونه خفيًا مشكلاً بل أظهره لي، وتبصروا فيه، ثم نفذوا ذلك الأمر بالفعل، ولا تؤخروني ساعة واحدة عن تنفيذ هذا الحكم المقضي، فإني لا أبالي بكم ولا أخاف منكم؛ لأنكم لستم على شيء، والله عاصمي ومسلمي من أذاكم. وهذا غاية الثقة بالله والاعتماد عليه، والاستهانة والاستخفاف بمن دونه؛ فعلى المؤمن أن يعتصم بالله ويثق بوعده، ويعتمد على ربه، فإن العاقبة في النهاية له^(٢).

(١) أخرجه الطبري في "جامع البيان"، (١٥ / ١٦)، وينظر: تفسير ابن عطية، "المحرر الوجيز"، (٣ / ٤٩٣).

(٢) الزحيلي، وهبة بن مصطفى. "التفسير الوسيط". (ط ١، الناشر: دار الفكر، دمشق)، (٢ / ٩٩٤).

وكذلك قال إسماعيل لأبيه - عليهما السلام - صابراً محتسباً، مرضياً لربه، وباراً بوالده: ﴿يَتَابَتِ أَفْعَلٌ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ (سورة الصافات) فأخبر أباه أنه موطنٌ نفسه على الصبر، معتمداً على ربه، غيرَ موكلٍ ذلك إلى قدرة نفسه، بل مقررٌ ذلك بمشيئة الله تعالى؛ لأنه لا يكون شيءٌ بدون مشيئته سبحانه وتعالى.

ولهذا لما راودت امرأة العزيز يوسف عليه السلام وتوعدته قائلة: ﴿وَلَكِنَّ لَمْ يَفْعَلْ مَا ءَامُرُهُ، لَيْسَجَنَّ وَيَكُونَنَّ مِنَ الصَّغِيرِينَ﴾ (سورة يوسف) استعاذ عليه السلام من شرهن وكيدهن، فقال: ﴿رَبِّ السَّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ أي: من الفاحشة، ﴿وَأَلَّا تَصْرِفَ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (سورة يوسف) أي: إن وكلتني إلى نفسي، فليس لي من نفسي قدرة، ولا أملك لها ضرراً ولا نفعاً، إلا بحولك وقوتك، وإلا يكن منك أنت العون والمنعة؛ لا يكن مني ولا عندي، فأنت المستعان وعليك التكلان، فلا تكلني إلى نفسي. فلما عصمه الله، امتنع منها أشد الامتناع^(١).

ولما فرَّ موسى عليه السلام وقومه من فرعون وجنوده، وتراءى الجمعان رأينا عظيم ثقة موسى عليه السلام بربه جلَّ شأنه، قال تعالى في سورة الشعراء مخبراً عنه: ﴿فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانَ قَائِلًا أَصْحَبَ مُوسَى إِنَّا لَمَدْرَكُونَ﴾ (١١) قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ (١٢). وتظهر كذلك ثقته عليه السلام بربه في قوله للخضر: ﴿سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ (سورة الكهف) أي: وغير عاص لك فيما تأمرني به، وقيد عليه السلام قوله بالمشيئة؛ لأنه لم يكن على ثقة من نفسه فيما التزم، وهذه عادة الأنبياء والأولياء ألا يثقوا إلى أنفسهم طرفة عين^(٢)، فهم كما قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: "صفة أولياء الله عز وجل ثلاثة أشياء: الثقة بالله تعالى في كل شيء، والفقر إليه في كل شيء، والرجوع إليه من كل شيء"^(٣).

(١) ينظر: الطبري، "جامع البيان"، (١٣ / ١٤٥)، ابن كثير، "تفسير القرآن العظيم"، (٤ / ٣٨٦).
 (٢) المحلي، والسبوطي، جلال الدين المحلي، وجمال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. "تفسير الجلالين"، (ط ١، الناشر: دار الحديث، القاهرة)، (ص: ٣٩٠).
 (٣) الفيروز آبادي، "بصائر ذوي التمييز"، (٢ / ٣١٦).

• ثالثاً: تقديم الدين على الدنيا.

ميّز الله أنبيائه عن البشر، وخصهم بشرف العبودية، وعلو الرتبة في العلم والعمل، ولذلك كان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يدعون إلى الآخرة، ويتحرزون عن حب الدنيا أو إثارها على ما عند الله تعالى، ويقدمون ما يحبه الله تعالى على ما تحبه أنفسهم، ولا شك بأن هذا من كمال إيمانهم بالله عزّ وجلّ.

يقول تعالى مخبراً عن فضائل عباده المرسلين وأنبيائه العابدين: ﴿وَأذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ﴿٤٥﴾ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ﴿٤٦﴾﴾ [سورة ص] أي: جعلناهم خالصين لنا بخصلة عظيمة الشأن لا شوب فيها؛ وهي تذكّرهم للدار الآخرة على الدوام، واختصصناهم بذكر الله تعالى وبذكر الجنة، فليس لهم همّ إلا هم الآخرة، وطهرناهم من درن النفوس فصارت نفوسهم نقية من العيوب العارضة للبشر. قال مالك بن دينار: "نزع الله من قلوبهم حب الدنيا وذكرها، وأخلصهم بحب الآخرة وذكرها"^(١). ومثال على ذلك دعاء داود: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مَلَكًا لَا يَلْبِغُنِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾﴾ [سورة ص]. فقدّم الاستغفار على استيهاب الملك جرياً على عادة الأنبياء والصالحين في تقديمهم أمر دينهم على أمور دنياهم؛ لأن أمور الدين كانت عندهم أهم من الدنيا، فقدّم الأولى والأهم^(٢)، ولا شك بأن سؤاله وطلبه للملك ليس رغبة في الدنيا؛ وإنما لإظهار نعمة الله عليه، والدعوة إلى دينه^(٣).

• رابعاً: المبادرة إلى امتثال أمر الله تعالى.

إن امتثال أمر الله هو غاية سعادة العبد في معاشه ومعاده، إذ ليس للعبد في دنياه

(١) ابن كثير، "تفسير القرآن العظيم"، (٧/ ٧٦).

(٢) ينظر: الزمخشري، "الكشاف"، (٤/ ٩٥)، وابن جزري، أبو القاسم محمد بن أحمد الكلبي الغرناطي "التسهيل لعلوم التنزيل". تحقيق: عبد الله الخالدي. (ط ١)، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ١٤١٦هـ)، (٢/ ٢٠٩)، وابن عاشور، "التحرير والتنوير"، (٢٣/ ٢٧٦).

(٣) ينظر: ابن فورك، محمد بن الحسن. "تفسير ابن فورك". تحقيق: علال عبد القادر، (ط ١)، الناشر: جامعة أم القرى، (٢/ ٢٩٠).

وأخرته أنفع من امتثال أوامر ربه تبارك وتعالى، وما سعد من سعد في الدنيا والآخرة إلا بامتثال أوامر ربه، وما شقي من شقي في الدنيا والآخرة إلا بتضييع أوامره^(١).

وقد حكى سبحانه في كتابه مبادرة أنبيائه لأمره، وما اعتادوا على فعله؛ تنبيهاً لعباده، وترغيباً لهم في حسن المبادرة إلى العمل الصالح، وامتثال أمره، تعظيماً له.

والحديث عن امتثال الأنبياء لأوامر ربه يطول به المقام، ويكفي الإشارة لهذا بموقفين من سيرة نبي الله إبراهيم عليه السلام، الأول منهما: حين أمره الله تعالى بأخذ إسماعيل عليه السلام وزوجته هاجر والذهاب بهما إلى مكة- وكانت مكة يومئذ لا نبت فيها ولا ماء-، فأنزلهما عليه السلام بمكة، ودعا دعاءه الخاشع الراضي، ثم تركهما وانصرف إلى أهله بالشام- بأمر الله تعالى- كما روى البخاري عن ابن عباس، وفيه: ((...)) ثم قفى إبراهيم منطلقاً فتبعته أم إسماعيل فقالت: يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه إنس ولا شيء؟ فقالت له ذلك مراراً، وجعل لا يلتفت إليها، فقالت له: الله الذي أمرك بهذا؟ قال: نعم، قالت: إذا لا يضيعنا^(٢).

وأما الثاني: فحين رأى عليه السلام - في الرؤيا- أن الله يأمره بذبح ابنه وثمرة فؤاده- ورؤيا الأنبياء وحي، وأمر الله تعالى لا بد من تنفيذه-؛ فامتثل وابنه لأمر الله، ثم جاءهم البشري من عند الله في ذلك الأمر المدهش: ﴿وَلَدَيْنَاهُ أَنْ يَتَّيْرَهُمْ ۗ﴾^(١٠٤) قَدْ صَدَقَتِ الرُّيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ^(١٠٥) [سورة الصافات] أي: عبادنا المقدمين رضانا على شهوات أنفسهم.

وهذا التسليم العجيب من إبراهيم عليه السلام تبعه عليه ابنه إسماعيل عليه السلام الذي استجاب لأمر الله دون اعتراض، قائلاً ﴿يَتَّابَتِ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ۗ﴾^(١٠٦) [سورة الصافات] أي: سأصبر وأحتسب ذلك عند الله عز وجل. وصدق صلوات الله وسلامه عليه، فيما وعد؛ ولهذا أتى عليه تعالى في قوله: ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا

(١) القاسمي، "محاسن التأويل"، تحقيق: محمد باسل، (ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت)، (٥ / ١٤٧)، (٣٧٢ / ٧).

(٢) صحيح البخاري (٤ / ١٧٢)، (ح / ٣٣٦٤).

نَبِيًّا ﴿٥٤﴾ [سورة مريم]. وهذه المبادرة العجيبة في امتثال أمر الله تعالى هي عادة الأنبياء عليهم السلام، على خلاف عادة أكثر الناس.

• خامساً: الغيرة والغضب لله تعالى.

كان الأنبياء عليهم السلام لا ينتصرون لأنفسهم، ولا يغضبون إلا إذا انتهكت محارم الله، وكانوا كذلك أكثر الناس عفواً وحلمًا، وقد حكى الله عن إبراهيم عليه السلام، فقال: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّهٌ مُّنتَبٌ﴾ [سورة هود] فوصفه بالحلم؛ لأنه عليه السلام لم ينتصر لنفسه قط، وإنما كان ينتصر لله عز وجل، ولم يغضب قط إلا لله،^(١) وكذلك كان رسول الله صلى الله عليه وآله لا يغضب لنفسه قط، فإذا انتهكت حرمة من حرمت الله غضب لله، وإذا غضب لله لم يقم لغضبه شيء، كما قالت عائشة رضي الله عنها: «ما انتقم رسول الله صلى الله عليه وآله لنفسه في شيء يؤتى إليه حتى ينتهك من حرمت الله، فينتقم لله»^(٢)، وكذلك كان موسى عليه السلام شديد الغضب لله ولدينه، ولما رأى قومه عبدوا عجلاً من دون الله بعد ما شاهدوا من الآيات العظام لم يتمالك نفسه، وأقبل على أخيه قابضاً على شعر رأسه^(٣).

وهذا نبي الله يوسف عليه السلام ابتلي بحسد إخوته، وإبعادهم له عن أبيه، وإلقائه في البئر، وتغرّب عن أهله وموطنه بسببهم، ثم لما دار الزمن وأصبح عزيز مصر، جاءوا إليه لما مسهم الضّرّ، قال تعالى -مخبراً عنهم-: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضْعَةٍ مُّزْجَلَةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ [سورة يوسف] فلما شكوا إليه رق لهم وعرفهم بنفسه، وأجابهم عليه السلام قائلاً لهم: ﴿لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَعْفُرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [سورة يوسف]، يعني: لا تأتیب ولا

(١) القيسي، مكي بن أبي طالب. "الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه". تحقيق: مجموعة رسائل جامعية، إشراف أ.د. الشاهد البوشيخي، (ط ١)، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة، (٥/ ٣٤٤٠).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (١٧٤ / ٨)، (ح/ ٦٨٥٣).

(٣) الأندلسي، "المحرر الوجيز"، (٣/ ٢٠٧).

عتب عليكم اليوم، فاعتذر لهم، وجعل ذلك الزمن زمن جهالتهم قائلاً: ﴿هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ يُونُسَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾ [سورة يوسف]، فآثر كما هو عادة الأنبياء حق الله على نفسه في المقام الذي يتشفى المغيظ وينفث المصدور ويدرك ثأره الموتور^(١)، وما تمكنا من ذلك إلا لمزيتهم، وعلو درجاتهم عند الله.

• سادساً: استعظام الهفوات.

حينما أتى الله سبحانه وتعالى على أنبيائه وصفهم جل ثناؤه بما وصفهم به من الرغب والرجاء، والرهب والخوف والخشية، فقال عنهم: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رِعَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ [سورة الأنبياء]، ووصفهم بإظهار الذل والافتقار إلى الله بعد المعصية وسرعة التوبة والإنابة إليه، وعدم الإصرار على الذنوب. فقال تعالى ذكره مخبراً عن ندم موسى عليه السلام على ما كان من قتله النفس التي قتلها، وتوبته إليه، فقال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [سورة القصص]، وهذه عادة جميع الأنبياء؛ فما أن يتضح لهم موضع خطأ قلوبهم، وتبدو لهم هفوة زلتهم؛ إلا أنابوا إلى الله بالتوبة، والمسايرة الرجعة من الهفوة، وبادروا الإنابة من الزلة، كما أخبر تعالى عن نوح عليه السلام حين عوتب في مسأله، فقيل له: ﴿فَلَا تَسْتَلِنَ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعْظَمُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [سورة هود]. ثم أناب عليه السلام وسارع بالتوبة من زلته في مسأله التي سألها ربه في ابنه، قائلاً: ﴿رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنُ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾ [سورة هود] أي: أستجير بك أن أتكلف في مسألتك ﴿مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ﴾ مما قد استأثرت بعلمه، وطويت علمه عن خلقك، فاغفر لي زلتي في مسألتك إياك ما سألتك في ابني، وإن أنت لم تغفرها لي وترحمني يا رب وتنقذني من غضبك؛ أكن من الخاسرين الذين غبنوا أنفسهم حظوظها وهلكوا. وكذلك فعل كل مسدد للحق موفق له، سريعة إلى الحق إنابته، قريبة إليه

(١) ينظر: النيسابوري، الحسن بن محمد. "غرائب القرآن و رغائب الفرقان". تحقيق: زكريا عميرات، (ط ١)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، (٤ / ١٢١).

وهذا ما مدح به جلّ ثناؤه نبيه سليمان عليه السلام؛ لأنه اتصف بما يوجب المدح والثناء عليه، حيث كان عليه السلام رجّاع إلى الله - في جميع أحواله - بالتأله والإنابة والمحبة والذكر والدعاء والتضرع والاجتهاد في مرضاة الله، وتقديمها على كل شيء، قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [سورة ص].

ولهذا لما عرضت عليه الخيل الجياد سبق الصافنات أي: التي من وصفها الصفون - وهو رفع إحدى قوائمها عند الوقوف -، وكان لها منظرٌ رائق، وجمالٌ معجب - خصوصاً للمحتاج إليها كالمملوك - فما زالت تعرض عليه حتى غابت الشمس في الحجاب، وألتهته عن الصلاة والذكر لربه، قال تعالى: ﴿إِذْ عَرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ﴾ [سورة ص]، فقال وهو نادٍ على ما مضى منه، ومنتقرباً إلى الله بما ألهاه عن ذكره، مقدماً حُب الله على حُب غيره: ﴿إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَّتْ بِالْحَبَابِ﴾ [سورة ص] رُدُّوْهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ [سورة ص]، فجعل يعقرها بسيفه؛ في سوقها وأعناقها^(٢).

(١) ينظر: الطبري، "جامع البيان"، (١ / ٥٢٥)، (١٢ / ٤٣٧).

(٢) ينظر: السعدي، "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان"، (ص: ٧١٢).

الخاتمة.

الحمد لله حمد الشاكرين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه وأتباعه إلى يوم الدين.

فقد تم هذا البحث بعون من الله وتوفيقه وإحسانه، وأسأل الله ﷻ أن يتجاوز عما فيه من زلل وتقصير، وأن ينفع به، وقد كان من أهم نتائجه:

١- عادات الأنبياء والرسل أمورٌ مشتركة بينهم ومطردة، وهي من أشرف عادات البشر، والصفة والتكرار كلاهما ثابت بالنصّ الشرعي.

٢- شمول هذه العادات لأداب الأنبياء وشمائلهم، سواءً مع الخالق أو المخلوق.

٣- استنبط العلماء هذه العادات بدلالة آيات القرآن، ومن المعلوم أن قصص الأنبياء- وأحوالهم مع أمهم- المذكورة في القرآن بابٌ من أبواب الاستنباط.

٤- ذكر المفسرين لهذه العادات لم يكن قصداً، وإنما كانت إشارات متضمنة في ثنايا سؤفاتهم القصص، وتفسيرهم لآيات الأنبياء، فذكروا ضمنها الأمور المشتركة بينهم، منبهين على أن هذا من عادة أنبياء الله.

٥- التنبيه على أن هذه العادات تدخل في مقاصد تكرار القصص، كما قال أبو حيان: "وكرر ما كُرر في أوائل هذه القصص؛ تنبيهاً على أن طريقة الأنبياء واحدة لا اختلاف فيها.."(١).

٦- النظر في هذه العادات، والتأمل فيما أنعم الله به على أنبيائه من حُسن الأخلاق، وجميل الأفعال؛ يؤثّر في النفس ويرقق القلب، ولا شك بأن هذا الأمر فيه مدعاة للمؤمن لأن يتخلق بكرم هذه الصفات؛ لكي يصل إلى منازل العلو والفلاح.

٧- تُعدّ العادات المتعلقة بدعوة الأنبياء لأقوامهم مدرسةً عُلياً، ومثالاً يقتدى به في التضحية والبذل لأجل الدعوة لله، وهي من أعظم المنح، وأثن العطايا التي يمنّ الله تعالى بها على من تصدّر لمجال الدعوة.

(١) ابن حيان، محمد بن يوسف. "البحر المحيط في التفسير". تحقيق: صدقي جميل. (الناشر: دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ)، (٨/ ١٨٨).

ومن التوصيات التي يوصى بها في هذا البحث:

- ١- إجراء مزيد من الدراسات والبحوث في الآيات التي تناولت الحديث عن الأنبياء، والاستفادة منها في مجال التعليم والدعوة.
- ٢- دراسة الآيات التي تناولت الحديث عن الأنبياء؛ لما لها من أهمية في إثراء الجانب التدبري، وللوقوف على المعاني، والمقاصد الرئيسة التي تدور عليها موضوعاتها.

المصادر والمراجع.

- أبو زهرة، محمد بن مصطفى. "المعجزة الكبرى القرآن"، (الناشر: دار الفكر العربي).
- أبو شامة، شهاب الدين عبد الرحمن. "شرح الحديث المقتفى في مبعث النبي المصطفى". تحقيق: جمال عزون، (ط ١، الناشر: مكتبة العمرين العلمية، الشارقة).
- الأصبهاني، محمد بن الحسن بن فورك. "تفسير ابن فورك". تحقيق: علاء عبد القادر، (ط ١، الناشر: جامعة أم القرى).
- الألوسي، شهاب الدين محمود. "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني" تحقيق: علي عطية، (ط ١، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت).
- الأندلسي، عبد الحق ابن عطية. "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز". تحقيق: عبد السلام محمد، (ط ١، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ).
- الأندلسي، محمد بن يوسف بن حيان. "البحر المحيط في التفسير". تحقيق: صدقي جميل. (الناشر: دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ).
- الأنصاري، زكريا بن محمد. "الحدود الأنيفة والتعريفات الدقيقة". تحقيق: د. مازن المبارك، (ط ١، الناشر: دار الفكر المعاصر، بيروت).
- البغدادي، عبد الرحمن بن رجب. "روائع التفسير". جمع وترتيب: طارق بن محمد، (ط ١، الناشر: دار العاصمة، الرياض).
- بن عاشور، محمد بن الطاهر. "التحرير والتنوير". (الناشر: الدار التونسية للنشر، تونس، سنة النشر: ١٩٨٤م).
- الترمذي، محمد بن عيسى. "سنن الترمذي". تحقيق: أحمد شاكر، (الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت).
- الجرجاني، علي بن الشريف. "كتاب التعريفات". تحقيق: جماعة من العلماء، (ط ١، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت).
- الجوزية، محمد بن أبي بكر ابن قيم. "تفسير القرآن الكريم لابن القيم". تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية، (ط ١، الناشر: دار الهلال، بيروت، ١٤١٠هـ).
- الجوهري، إسماعيل بن حماد. "الصحاح". تحقيق: أحمد عطار، (ط ٤، الناشر: دار العلم،

بيروت).

الخازن، علي بن محمد. "الباب التأويل في معاني التنزيل". تصحيح: محمد شاهين. (ط ١)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت).

الخفاجي، أحمد بن محمد. "حاشية الشهاب الخفاجي على البيضاوي". (دار النشر: دار صادر، بيروت).

الدارمي، محمد بن حبان. "صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان". تحقيق: شعيب الأرنؤوط، (ط ٢: الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت).

الرازي، أحمد بن فارس. "مجمل اللغة" تحقيق: زهير سلطان، (ط ٢)، دار النشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٦هـ).

الرازي، أحمد بن فارس. "مقاييس اللغة". تحقيق: عبد السلام هارون، (ط: بدون، دار الفكر للطباعة).

الرازي، عبد الرحمن ابن أبي حاتم. "تفسير القرآن العظيم". تحقيق: أسعد الطيب، (ط ٣)، الناشر: مكتبة نزار الباز، ١٤١٩هـ).

الرازي، فخر الدين محمد بن عمر. "مفاتيح الغيب"، (ط ٣)، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ).

الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني. "تاج العروس من جواهر القاموس". تحقيق: مجموعة من المحققين. (الناشر: دار الهداية).

الزجاج، أبو إسحاق، إبراهيم بن السري بن سهل. "تفسير أسماء الله الحسنى". تحقيق: أحمد يوسف الدقاق. (الناشر: دار الثقافة العربية).

الزحيلي، وهبة بن مصطفى. "التفسير الوسيط". (ط ١)، الناشر: دار الفكر، دمشق).

الزحشري، محمود بن عمرو جار الله. "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل". (ط ٣)، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت).

السعدي، عبد الرحمن بن ناصر. "القواعد الحسان لتفسير القرآن". (ط ١)، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض).

السعدي، عبد الرحمن بن ناصر. "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان". تحقيق: عبد الرحمن اللويحق، (ط ١)، الناشر: مؤسسة الرسالة).

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن. "الإتقان في علوم القرآن". تحقيق: محمد أبو الفضل، (الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ).

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. "معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم". تحقيق: أ.د. محمد عبادة، (ط ١، الناشر: مكتبة الآداب، القاهرة، ١٤٢٤هـ).

الشنقيطي، محمد الأمين المختار الجكني. "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن". (الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤١٥هـ).

الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد. "العذب النمير". تحقيق: خالد السبت، إشراف: بكر أبو زيد. (ط ٢، الناشر: دار عالم الفوائد، مكة المكرمة).

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير. "تاريخ الرسل والملوك". (ط ٢، الناشر: دار التراث، بيروت، ١٣٨٧هـ).

الطبري، محمد بن جرير. "جامع البيان عن تأويل آي القرآن" تحقيق: الدكتور عبد الله التركي، (ط ١، الناشر: دار عالم الكتب، الرياض).

الطحاوي، أبو جعفر أحمد بن محمد "شرح مشكل الآثار". تحقيق: شعيب الأرنؤوط، (ط ١، الناشر: مؤسسة الرسالة).

العسكري، الحسن بن عبد الله "معجم الفروق اللغوية"، (ط ١، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٢هـ).

الفراهيدي، الخليل بن أحمد. "كتاب العين". تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، (الناشر: دار الهلال).

الفيروز آبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب. "بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز". تحقيق: محمد النجار. (الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة).

القاسمي، محمد جمال الدين. "محاسن التأويل". تحقيق: محمد باسل، (ط ١، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ).

القراي، أحمد بن إدريس، "الذخيرة". تحقيق: مجموعة من العلماء، (ط ١، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت).

القرطبي، أبو عمر، يوسف بن عبد البر. "الاستذكار". تحقيق: سالم عطا، محمد معوض.

- (ط ١، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ).
- القرطبي، محمد بن أحمد. "الجامع لأحكام القرآن". تحقيق: أحمد البردوني، (ط ٢: الناشر: دار الكتب المصرية، القاهرة).
- القشيري، عبد الكريم بن هوازن. "لطائف الإشارات". تحقيق: إبراهيم البسيوني، (ط ٣، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر).
- القصاب، أحمد محمد. "النكت الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام". تحقيق: مجموعة من العلماء. (ط ١، الناشر: دار القيم).
- القيسي، مكّي بن أبي طالب. "الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه". تحقيق: مجموعة رسائل جامعية، إشراف أ.د: الشاهد البوشيخي، (ط ١، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة).
- الكفوي، أيوب بن موسى. "الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية". تحقيق: عدنان درويش، (الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت).
- المالكي، أبو بكر، محمد بن عبد الله بن العربي. "أحكام القرآن". تحقيق: محمد عطا. (ط ٣، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ).
- المحلي، والسيوطي، جلال الدين المحلي، وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. "تفسير الجلالين"، (ط ١، الناشر: دار الحديث، القاهرة).
- النسفي، عبد الله حافظ الدين. "مدارك التنزيل وحقائق التأويل". تحقيق: يوسف بديوي، (ط ١، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت).
- النيسابوري، الحسن بن محمد. "غرائب القرآن و رغائب الفرقان". تحقيق: زكريا عميرات، (ط ١، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت).
- النيسابوري، مسلم بن الحجاج، "الجامع الصحيح"، (الناشر: دار الجليل، بيروت).
- الهروي، أبو غنيد القاسم بن سلام. "غريب الحديث". تحقيق: د. محمد خان، (ط ١، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد).
- الهروي، محمد بن أحمد بن الأزهري. "تهذيب اللغة". تحقيق: محمد عوض، (ط ١، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت).
- الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد. "البيسط". (ط ١، الناشر: عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية).

Bibliography

- Abu Zahra, Muhammad bin Mustafa. "Al-Mujizah A-Kubrā Fi Al-Qur'an". (Dār Al-Fikr Al-'Arabi).
- Abu Shāma, Shihab al-Din Abdul Rahman. "Sharḥ Al-Ḥadith Al-Muqtafā Fi Mab'ath Al-Nabiyyī Al-Mustafa" Investigated by: Jamāl 'Azoun, (1st Edition, Sharjah: Maktabat Al-'Amreen al-'Ilmiyyah).
- Al-Asbahānī, Muhammad bin Al-Ḥasan bin Fork. "Tafsir Ibn Fork". Investigated by: 'Alāl 'Abd al-Qādir, (1st Edition, Umm Al-Qura University).
- Al-Alousī, Shihāb Al-Dīn Mahmūd. "Rouh Al-Ma'ānī Fi Tafsir Al Qur'an Al-Azīm wa Al-Sab'i Al-Mathānī". Investigated by: 'Ali 'Aṭṭiyah, (1st ed., Beirut: Dār Al-Kutub Al-'Ilmiyya).
- Al-Andalusi, 'Abd al-Haq Ibn 'Aṭṭiyah. "Al-Muharrar Al-Wajīz Fi Tafsir Al-Kitāb Al-'Aziz". Investigated by: 'Abd al-Salam Muhammad. (1st ed., Beirut: Dār al-Kutub al-'Ilmiyya, 1422 AH).
- Al-Andalusi, Muhammad bin Yousuf bin Ḥayyān. "Al-Baḥr Al-Muḥīṭ Fi Al-Tafsīr". Investigated by: Ṣidqī Jamil. (Beirut: Dār Al-Fikr, 1420 A.H).
- Al-Anṣārī, Zakaria bin Muhammad. "Al-Ḥudūd Al-Anīqa wa Al-Ta'rīfāt Al-Daqīqa". Investigated by: Dr. Mazin Al-Mubarak. (1st ed., Beirut: Dār al-Fikr al-Mu'āṣir).
- Al-Baghdādī, 'Abd al-Rahman bin Rajab. "Rawā'i' Al-Tafsīr". Collection and arrangement: Tariq bin Muhammad. (1st ed., Riyadh: Dār Al-'Aṣimah).
- Ibn 'Āshour, Muhammad bin Al-Ṭāhir. "Al-Tahrir wa Al-Tanwīr". (Tunisia: Tunisian Publishing House, 1984).
- Al-Tirmidhi, Muhammad bin 'Īsa. "Sunan al-Tirmidhi". Investigated by: Ahmad Shākir, (Beirut: House of Revival of Arab Heritage).
- Al-Jarjani, Ali bin Sharif. "KITAB AL TARIFAT." Investigated by: A Group of Scientists, (Edition 1, Publisher: Dār Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut).
- Al-Jawziya, Muhammad bin Abi Bakr Ibn Qayyim, "TAFSIR AL Qur'an LI IBN AL Qayyim" Investigated by: The Office of Arab and Islamic Studies and Research, (1st ed., Beirut: Dār Al-Hilal, 1410 A.H.).
- Al-Jawharī, Ismail bin Hammad. "Al-Ṣiḥāḥ". Investigated by: Ahmad 'Aṭṭār. (4th ed., Beirut: Dār Al-'Ilm).
- Al-Khazīn, 'Ali bin Muhammad. "Lubāb Al-Ta'wīl Fī Ma'ānī Al-Tanzīl". Correction: Muhammad Shaheen. (1st ed., Beirut: Dār Al-Kutub Al-'Ilmiyya)
- Al-Khafājī, Ahmad bin Muhammad . "Hāshiyat Al-Shihāb Al-Khafājī 'alā Al-Bayḍāwī". (Beirut: Dār Sadir).
- Al-Dārimī, Muhammad bin Hibbān, "Ṣaḥīḥ Ibn Hibban Be Tartīb Ibn Bilbān". Investigated by: Shu'aib Al-Ārnā'out, (2nd Edition, Beirut: Al-Risala Foundation).
- Al-Rāzī, Ahmad Ibn Fāris. "Mujmal Al-Lughā". Investigated by: Zuhair Sultan, (2nd ed., Beirut: Resala Foundation, 1406 AH).

- Al-Rāzī, Ahmad Ibn Fāris. "Maqāyīs Al-Lughā". Investigated by: 'Abd al-Salam Haroun, (Dār al-Fikr).
- Al-Rāzī, 'Abd al-Rahmān Ibn Abi Ḥātim. "Tafsir Al-Qur'ān Al-'Azīm". Investigated by: As'ad Al-Ṭayyib, (3rd Edition, Maktabat Nizar Al-Baz, 1419 AH).
- Al-Rāzī, Fakhr al-Dīn Muhammad bin 'Umar. "Mafātīḥ Al-Ghaib". (3rd edition, Beirut: Dār Iḥyā al-Turāth al-'Arabī, 1420 A.H.).
- Al-Zabīdī, Muhammad bin Muhammad bin 'Abd al-Razzāq al-Husaini. "Tāj Al-'Arous Min Jawāhir Al-Qamous". Investigated by: a group of investigators. (Dār Al-Hidāya).
- Al-Zajjaj, Abu Ishāq, Ibrahim bin Al-Sirri bin Sahl. "Tafsir Asmā Allāh Al-Ḥusnā". Investigated by: Ahmad Yousuf Al-Daqqāq. (Dār al-Thaqāfa al-'Arabiyyah).
- Al-Zuhailī, Wahba bin Mustafa. "Al-Tafsīr Al-Waṣīṭ". (1st edt., Damascus: Dār Al-Fikr,).
- Al-Zamakhshari, Mahmoud bin 'Amr Jār Allāh. "Al Kashāf 'Ann Haqā'iq Ghawamiḥ Al-Tanzīl". (3rd Edition, Beirut: Dār al-Kitāb al-'Arabī).
- Al-Sa'dī, 'Abd al-Rahman bin Nāsir. "Al-Qawā'id Al-Ḥisān li Tafsīr Al-Qur'ān". (First Edition, Riyadh: Al-Rushd Library).
- Al-Sa'dī, 'Abd al-Rahman bin Nāsir. "Taysīr Al-Karīm Al-Rahman Fi Tafsīr Kalām Al-Mannān". Investigated by: 'Abd al-Rahman Al-Luwaihiq. (1st ed., Al-Risalah Foundation).
- Al-Ṣuyoutī, Jalāl al-Dīn 'Abd al-Rahman. "Al-Itqān Fi 'Uloum Al-Qur'an". Investigated by: Muhammad Abu Al-Fadl, (The Egyptian General Book Authority, 1394 AH).
- Al-Ṣuyoutī, Jalāl al-Dīn 'Abd al-Rahman bin Abu Bakr. "Mu'jam Maqālīd Al-'Uloum Fi Al-Ḥudoud wa Al-Rusoum". Investigated by: Prof. Muhammad 'Ubada, (First Edition, Cairo: Maktabat al-Ādāb, 1424 AH).
- Al-Shinqeetī, Muhammad al-Amin al-Mukhtār al-Jakanī, "Adhwaa Al-Bayān Fi 'Idāḥ Al-Qur'an Be Al-Qur'an". (Dār Al-Fikr Beirut: 1415 AH).
- Al-Shanqeetī, Muhammad Al-Amin bin Muhammad. "al-'Adhb al-Munīr". Investigated by: Khalid Al-Sabt, supervised by: Bakr Abu Zaid. (2nd ed., Dār Makkah al-Mukarramah: 'Ālam al-Fawā'id).
- Al-Ṭabari, Abu Ja'far Muhammad bin Jarīr. "Tārīkh Al-Rusul wa Al-Mulouk". (2nd Edition, Beirut: Dār Al Turāth, 1387 AH).
- Al-Ṭabari, Muhammad bin Jarīr. "Jāmi' Al-Bayān 'Ann Ta'wīl Āyi Al-Qur'an". Investigated by: Dr. 'Abdullah al-Turki. (1st ed., Riyadh: Dār 'Ālam al-Kutub).
- Al-Ṭahāwī, Abu Ja'far Ahmad bin Muhammad. "Sharḥ Mushkil Al-Atharr". Investigated by: Shu'aib Al-Arnā'out. (1st ed., Al-Risala Foundation).
- Al-'Askarī, Al-Hasan bin 'Abdullah. "Mu'jam Al-Furoq Al-Lughawīyyah" (1st ed., Islamic Publishing Foundation, 1412 AH).
- Al-Farāhīdī, Al-Khalil bin Ahmad. "Kitāb Al-'Ain". Investigated by: Dr. Mahdi Makhzoumi, Dr. Ibrahim Al-Samurrā'ī, (Dār Al-Hilal).
- Al-Fayrouzabādī, Majd al-Dīn Abu Tāhir Muhammad bin Ya'qoub. "Baṣā'ir Dhawī Al-Tamyīz Fi Laṭā'if Al-Kitāb Al-'Aziz". Investigated by: Muhammad Al-Najjar. (Cairo: Supreme Council for Islamic Affairs, Committee for the Revival of Islamic Heritage).

- Al-Qāsimī, Muhammad Jamāl al-Dīn. "Maḥāsīn Al-Ta'wīl". Investigated by: Muhammad Basil, (1st ed., Beirut: Dār Al-Kutub Al-'Ilmiyya, 1418 AH).
- Al-Qarāfi, Ahmad bin Idrīs. "Al-Dhakhīrah". Investigated by: A group of scholars, (First Edition, Beirut: Dār Al-Gharb Al-Islami).
- Al-Qurṭubī, Abu 'Umar, Yousuf bin 'Abd al-Barr. "Al-Istidhkār". Investigated by: Salim 'Atā, Muhammad Mu'awaḍ. (1st Edition, Beirut: Dār Al-Kutub Al-'Ilmiyya, 1421 A.H.).
- Al-Qurṭubī, Muhammad bin Ahmad. "Al-Jami' Li Aḥkām Al-Qur'an". Investigated by: Ahmad Al-Bardouni, (2nd Edition: Cairo: Dār Al-Kutub Al-Misriya).
- Al-Qushayrī, 'Abd al-Karim bin Hawazin. "Laṭā'if Al-Isharāt". Investigated by: Ibrahim Al-Basyouni. (3rd Edition, Egypt: General Egyptian Book Authority).
- Al-Qaṣṣāb, Ahmad Muhammad. "Al-Nukat Al-Dāllah 'alā Al-Bayān Fi Anwā' Al-'Uloum wa Al-Aḥkām". Investigated by: a group of scholars. (1st ed., Dār Al-Qayyim).
- Al-Qaisi, Makki bin Abi Ṭālib. "Al-Hidāyah Ilā Bulough Al-Nihāyat Fi 'Uloum Ma-'ānī Al-Qur'an wa Tafsīrih, wa Aḥkamih wa Jumal Min Funoun 'Uloumih". Investigated : A group of university theses, supervised by Prof.: Al-Shāhid Al-Bouchikhi, (1st Edition, The Book and Sunnah Research Group - College of Sharia and Islamic Studies, University of Sharjah.).
- Al-Kafawī, Ayoub bin Musa. "Al-Kulliyāt, Mu'jamun Fi Al-Mustalahāt wa Al-Furoq Al-Lughawiyah". investigated by: 'Adnan Darrwish. (Beirut: Resala Foundation).
- Al-Mālikī, Abu Bakr, Muhammad bin 'Abdullah bin Al-'Arabi. "Aḥkām Al-Qur'an". Investigated by: Muhammad 'Aṭā. (3rd Edition, Beirut: Dār Al-Kutub Al-'Ilmiyya, 1424 A.H.).
- Al-Maḥallī, Al-Suyoutī, Jalāl Al-Dīn Al-Maḥallī, and Jalāl Al-Dīn 'Abd al-Rahman bin Abi Bakr. "Tafsīr Al-Jalālain". (1st ed., Cairo: Dār Al-Hadith).
- Al-Nasafī, 'Abdullah Ḥāfiẓ al-Dīn. "Madārik Al-Tanzīl wa Ḥaqā'iq Al-Ta'wīl". Investigated by: Youssuf Budaiwi. (1st ed., Beirut: Dār Al-Kallām Al-Ṭayyib).
- Al-Naisābourī, Al-Hasan bin Muhammad. "Gharā'ib Al-Qur'an wa Raghā'ib Al-Furqān". Investigated by: Zakaria 'Omairāt. (First Edition, Beirut: Dār Al-Kutub Al-'Ilmiyya).
- Al-Naisābourī, Muslim bin Al-Ḥajjāj. "Al-Jāmi' Al-Ṣaḥīḥ". (Beirut: Dār Al-Jeel).
- Al-Harawī, Abu 'Ubayd al-Qāsim bin Salām. "Gharīb Al-Ḥadīth". Investigated by: Dr. Muhammad Khan. (First Edition, Hyderabad: Maṭba'at Dā'irat al-Ma'ārif al-'Uthmāniyyah).
- Al-Harawī, Muhammad bin Ahmad bin Al-Azharī. "Tahdheeb Al-Lughah". Investigated by: Muhammad 'Iwaḍ. (1st ed., Beirut: Dār Iḥyā al-Turāth al-'Arabī).
- Al-Wāḥidī, Abu Al-Ḥasan 'Ali bin Ahmad. "Al-Basīṭ". (1st ed., Deanship of Scientific Research, Imam Muhammad bin Saud Islamic University).

The contents of this issue

No.	Researches	The page
1)	Reciters whom the qeraat was mentioned in qeraat of the quran, and Ibn al-Jazari did not mention them in his book ghayat alnihaya Dr. Ahmed bin Abdullah Al-Zahrani	9
2)	Defining Imam Ibn Al-Jazari's View on the Requirement of Tawātur to Accept a Qur'anic Reading and on the Tawātur of the Ten Readings Dr. Redwan Rifaat Albakri	40
3)	Directing the Unique Qur'ānic Readings of the book Tayyibat al-Nashr fī Qirā'āt al-‘Asharr by Imam Ibn al-Jazarī – Dr. Habib Allah Saleh al-Sulami	96
4)	The Odd Readings Attributed to Imam Abu ‘Amr Al-Basri Al-Nahawi in the Book of Al-Muhtasib by Ibn Jinni Collection and Study Dr. Khidr bin Muhammad Taqiuddeen bin Maayaabi	148
5)	The Rules Related To Doubting About A Letter While Reciting The Holy Qur’an. A Foundational And Critical Study Dr. Abdullah bin AbdulAziz Al-Dugaithir	194
6)	Exegetical Sayings that Ibn Atiyya Ruled as Shaaz (Odd) in His Book Al-Muharrar al-Wajeez- Collection and Study Dr. Naif bin Yousef Alotaibi	242
7)	Women Consultation and Taking their Opinion in Light of the Glorious Qur’an An Objective Study Dr. Abdullah Abdulaziz Alobaid	280
8)	Habits of the Prophets and Messengers in the Noble Qur’an An Analytical Theory Study Dr. Hanan bint Louifi bin Ali Al-Amri.	318
9)	The Term Comparative Interpretation A Critic Study Prof. Ibrahim ibn saleh alhomaidhi	368

10)	The Hadiths Narrated Regarding the Prayer of the Prophet of Allāh -Peace and Blessings upon Him- on the Night of Isrā wal Mi'rāj other than at Jerusalem, and His Passing by the Cities of "Jabulqa" and "Jabulsa", and His Call on their People Compilation and Study Nashwan Mohmamed Moqbel Ali	400
11)	Faulting Due to Contradiction by the Scholars of Hadith Prof. Hafez bin Muhammad al-Hakami	444
12)	"Narrators described with Jahālat al-ʿAyn (that is narrators who no one has narrate from them except for one narrator) according to al-Haythami in the book Majmaʿ al-Zawāʿid wa Manbaʿ al-Fawāʿid" a collection and study Dr. Tahani Jameel Badri And Dr. Khadija Abdul Halim Turkistani	476
13)	The Great Companion Salma Bint Qais -may Allah be pleased with her- and Her Narrations Dr. Mona Mohammed Mabkhout Al-Hamdan	536
14)	The Comparison between hadith narrators by Al-Imam Yahya bin Saʿid Al-Qattān A study of Applied theory Dr. Khalid bin Abdullah Al-Tuwayyān	574
15)	Ilḥāq Al-Samāʿ [Falsifying the Hearing of Ḥadith] Its Ways, Divisions, and Effects Dr. Mohammed Zayed Al-Otaibi	642

Publication Rules at the Journal (*)

- The research should be new and must not have been published before.
- It should be characterized by originality, novelty, innovation, and addition to knowledge.
- It should not be excerpted from a previous published works of the researcher.
- It should comply with the standard academic research rules and its methodology.
- The paper must not exceed (12,000) words and must not exceed (70) pages.
- The researcher is obliged to review his research and make sure it is free from linguistic and typographical errors.
- In case the research publication is approved, the journal shall assume all copyrights, and it may re-publish it in paper or electronic form, and it has the right to include it in local and international databases – with or without a fee – without the researcher's permission.
- The researcher does not have the right to republish his research that has been accepted for publication in the journal – in any of the publishing platforms – except with written permission from the editor-in-chief of the journal.
- The journal's approved reference style is “Chicago”.
- The research should be in one file, and it should include:
 - A title page that includes the researcher's data in Arabic and English.
 - An abstract in Arabic and English.
 - An Introduction which must include literature review and the scientific addition in the research.
 - Body of the research.
 - A conclusion that includes the research findings and recommendations.
 - Bibliography in Arabic.
 - Romanization of the Arabic bibliography in Latin alphabet on a separate list.
 - Necessary appendices (if any).
- The researcher should send the following attachments to the journal:
 - The research in WORD and PDF format, the undertaking form, a brief CV, and a request letter for publication addressed to the Editor-in-chief

(*) These general rules are explained in detail on the journal's website:

<http://journals.iu.edu.sa/ILS/index.html>

The Editorial Board

Prof. Dr. Abdul ‘Azeez bin Julaidaan Az-Zufairi
Professor of Aqidah at Islamic University
(**Editor-in-Chief**)

Prof. Dr. Ahmad bin Baakir Al-Baakiri
Professor of Principles of Jurisprudence
at Islamic University Formally
(**Managing Editor**)

Prof. Dr. Baasim bin Hamdi As-Seyyid
Professor of Qiraa‘aat at Islamic
University

Prof. Dr. ‘Abdul ‘Azeez bin Saalih Al-Ubayd
Professor of Tafseer and Sciences of
Qur‘aan at Islamic University

Prof. Dr. ‘Awaad bin Husain Al-Khalaf
Professor of Hadith at Shatjah University in
United Arab Emirates

Prof. Dr. Ahmad bin Muhammad Ar-Rufā‘ī
Professor of Jurisprudence at Islamic
University

Prof. Dr. ‘Umar bin Muslih Al-Husaini
Professor of Fiqh-us-Sunnah at
Islamic University

Editorial Secretary: **Basil bin Aayef Al-Khaalidi**

Publishing Department: **Omar bin Hasan al-Abdali**

The Consulting Board

Prof. Dr. Sa’d bin Turki Al-Khathlan
A former member of the high scholars
His Highness Prince Dr. Sa’oud bin Salman bin Muhammad A’la Sa’oud
Associate Professor of Aqidah at King
Sa’oud University

His Excellency Prof. Dr. Yusuff bin Muhammad bin Sa’eed
Member of the high scholars
& Vice minister of Islamic affairs

Prof. Dr. A’yaad bin Naarni As-Salarni
The editor-in-chief of Islamic Research’s Journal

Prof. Dr. Abdul Hadi bin Abdillah Hamitu
A Professor of higher education in Morocco

Prof. Dr. Musa’id bin Suleiman At-Tayyarr
Professor of Quranic Interpretation at King Saud’s
University

Prof. Dr. Ghanim Qadouri Al-Hamad

Professor at the college of education at
Tikrit University

Prof. Dr. Mubarak bin Yusuf Al-Hajiri
former Chancellor of the college of sharia
at Kuwait University

Prof. Dr. Zain Al-A’bideen bilaa Furaaj
A Professor of higher education at
University of Hassan II

Prof. Dr. Falih Muhammad As-Shageer
A Professor of Hadith at Imam bin
Saud Islamic University

Prof. Dr. Hamad bin Abdil Muhsin At-Tuwajjiri

A Professor of Aqeedah at Imam
Muhammad bin Saud Islamic University

Paper version

Filed at the King Fahd National Library No.
8736/1439 and the date of 17/09/1439 AH
International serial number of periodicals (ISSN)
1658- 7898

Online version

Filed at the King Fahd National Library No.
8738/1439 and the date of 17/09/1439 AH
International Serial Number of Periodicals (ISSN)
1658-7901

the journal's website

<http://journals.iu.edu.sa/ILS/index.html>

The papers are sent with the name of the Editor -
in – Chief of the Journal to this E-mail address
Es.journalils@iu.edu.sa

(The views expressed in the published papers reflect
the views of the researchers only, and do not
necessarily reflect the opinion of the journal)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
ISLAMIC UNIVERSITY OF MADINAH

Islamic University Journal

of Islamic Legal Sciences

Issue: 200

Volume 1

Year: 55

March 2022